نَحْـــلُ عِبرَ النَّحل

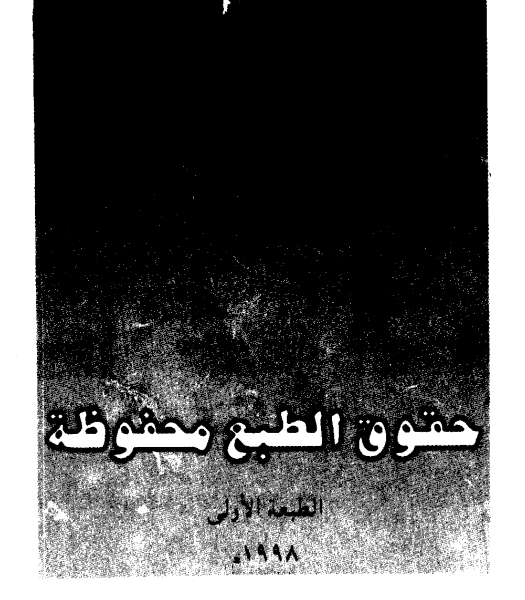
تأليف

الإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى
المتوفى سنة ٨٥٤ هـ

تحقيق وشرح وتعليق

الدكتور/ أحمد السايح
الدكتور/ السيد الجميلى

مركز الكتاب للنشر





مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣-٢٩٠٦٢٥٠-فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٢٣٩٨



النحل والعسل

من أجمل ما قيل من تفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ قول أبى إسحاق الزجاج - رحمه الله -: جائزٌ أن يكون سُمِّى نحلاً؛ لأنه ينحل الناسَ العسلَ الذى يخرج من بطونها.

والنحل يذكر ويؤنث فى لغة العرب.

وقد وصف الحق سبحانه وتعالى عسل النحل بأنه ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ ذلك لأن منه الأبيض ومنه الأحمر والأصفر.

ثم قال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أى فيه شفاءٌ من كثير من الأمراض، وليس من كل الأمراض كما يتوهم ذلك كثيرٌ من الناس.

قال الإمام الرازى: إن قالوا: كيف يكون شفاءً للناس، وهو يضر بالصفراء؟! فالجواب أنه تعالى لم يقل: إنه شفاء لكل الناس، ولكل داء وفى كل حال، بل لما كان شفاء للبعض من الأدواء، صلح بأن يوصف بأن فيه شفاء[1].

قال القاضى عياض فى قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾: إنه المراد: فى الحديث الشريف: «صدق الله وكذب بطن أخيك» وهو قول ابن مسعود، وابن عباس والحسن.

والعسل الأبيض له أنواع، وأجوده الربيعى والصيفى الذى طاب مرعاه، وكان اجتناؤه من نحو السنبل والقيصوم والبعيثران ونحوهما[2].

---

(١) من كتاب (عسل النحل فى القرآن والسنة) تأليف السيد الجميلى نقلا عن التفسير الكبير للإمام الرازى (٢٠/ ٧٢) بتصرف.

(٢) راجع تذكرة داود الأنطاكى (١/ ٢١٧).

ويقول الشيخ الرئيس الطبيب الفيلسوف ابن سينا: «أجود العسل: الصادق الحلاوة، الطيب الرائحة، المائل إلى الحرافة، وإلى الحمرة، المتين»[١].

أسفرت البحوث الكروماتوجرافية Chromato graphic Studies عن وجود سكريات عديدة لا تزال مجهولة الطبيعة عن تلك المعروفة من قبل فى عسل النحل مثل الرافينوز Rafinose والأيزوملتوز Jsomaltose والتوزانوز Toranose وغيره وغيره.

تبلغ حلاوة عسل النحل خمسا وسبعين فى المائة (ثلاثة أرباع) حلاوة السكر القصب، كما تزداد لزوجة العسل كلما ازداد تركيزه.

* * *

وينطوى عسل النحل على كثير من الفوائد والمنافع وهذه الخاصية الشمولية لعموم نفعه مدارها على احتوائه على رصيد كبير من سكر الفركتوز Fructose Suger وسكر العنب Glucose وسكر القصب Sucrose، وتدخل فيه المواد البروتينية Proteins بنسبة ٣,٠٪ فضلاً عن النيتروجين ٤,٠٪ والأملاح المعدنية بنسبة ٢,٠٪ وغير ذلك من المواد غير المعروفة.

ويحتوى العسل على مجموعة من الأحماض العضوية Organic Acids مثل أحماض الفورميك والستريك والخليك والكتيك والبيوتيريك والأوكساليك والطرطريك والسكسينك.

كذلك يشتمل العسل الأبيض على كثير من الإنزيمات Enzymes مثل إنزيم الأنفرتيز Invertase المنوط به تحويل سكر القصب (السكروز) إلى جلوكوز وفركتوز. كذا الأميليز Amylase وهو الإنزيم المعهود إليه بتحويل النشا والدكسترين، وإنزيم الكاتاليز Catalase المنوط به عمليات الأكسدة - Oxida-tion Mechanisms كذا إنزيم الفوسفاتيز Phosphatase Enzyme وهذه الإنزيمات استخلصتها النحلة من رحيق الأزهار، والبقية الأخرى منها مصدرها الإفراز اللعابية للنحلة Salivary Secretion of the Bee.

(١) القانون فى الطب (١/ ٢٠٤).

وفى العسل تتركز مجموعة من الفيتامينات الهامة والضرورية للجسم حتى يمارس نشاطاته بهمة واقتدار وهذه الفيتامينات هى:

الثيامين (أو فيتامين ب١) Thiamin or Vitamin B_1 والريبوفلافين (فيتامين ب٢) Riboflavin (Vitamin B_2) والبيريدوكسين (فيتامين ب٦) Pyridoxine (Vitamin B_6) وحامض الاسكوربيك (فيتامين ج) Ascorbic Acid (Vitmin C) وحمض النيكوتينيك (النياسين) Nicotinic Acid (Niacin) وحمض البانتوثينيك Pantothenic Acid مع كميات قليلة نسبيًا من حمض الفوليك والبيوتين وغيره وغيره.

كما يحتوى على كثير من المواد البروتينية ومن أهمها أشباه الألبيومين والمسماه الألبيومينويدات Albuminoids.

كما يحتوى العسل على كثير من المعادن والأملاح الضرورية والهامة لعملية التمثيل البيولوچى فى جسم الإنسان.

وللعسل آثار نافعة، ونتائج طيبة من الوجهة العلاجية المحضة، فهو يداوى ويعالج كثيرًا من الأمراض الحادة والمزمنة.

من أجمل أوصاف العسل التى ذكرها الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه القيم: (الطب النبوى) أنه «طعام من الأطعمة، وشراب من الأشربة، وحلو من الحلوى، وعقار من العقاقير».

هذ النعت الجامع لا يتوفر لغير عسل النحل.

ونذكر فوائد عسل النحل إجمالاً:

- علاج الزكام الحاد، الناجم عن حمى الدريس والذى قد يترتب عليه انسداد الأنف لفترة طويلة.

وقد ذكر الدكتور جارفيس ذلك بعد إجرائه عديد من التجارب على مرضاه فى عيادته الخاصة[1] وكانت النتائج مرضية بعد استعمال شمع العسل فى علاج الزكام الحاد الشديد الوطأة.

1- Jarvis; D.C:
"Folk medicine, Fawce t. t Crest" New York, PP. 124. (1955).

- يعمل العسل كمغذ لطيف للأطفال وكبار السن من الشيوخ، وكذلك للمرضى والناقهين من الحميات الحادة.

وقد أجريت تجارب طبية على ثلاثين طفلاً فى إحدى مستشفيات إسبانيا، إذ تقرر إعطاؤهم ملعقتين صغيرتين من عسل النحل لمدة ستة أشهر، وقد قورنوا بمجموعة ضابطة Control Group تغتذى على الغذاء الطبيعى العادى، وكانت النتيجة زيادة الوزن وكثرة هائلة فى عدد الكرات الدموية الحمراء وزيادة نسبة الهيموجلوبين مع زيادة المناعة ضد الأمراض[١].

- وللعسل الأبيض (عسل النحل) تأثير قوى مباشر على الأمعاء أثبت الأطباء الإنجليز فى مستشفيات بريطانيا أنه يعتبر علاجًا نافعًا للقرحة التى تصيب الجهاز الهضمى، على أن يؤخذ مخففًا مع مغلى بذور الحلبة[٢]. وهم يعالجون به الآن عسر الهضم والانتفاخ Dyspepsia and Flatulance.

- ورد فى تذكرة داود الأنطاكى، وفى القانون فى الطب لابن سينا، وفى المعتمد لابن رسول التركمانى، والمفردات لابن البيطار، أن العسل ينفع الكبد ويعالج حالات متعددة من القصور الكبدى.

من الظاهر عند تصفح هذه الكتب المعتبرة أن نقولهم من بعضهم البعض جلية واضحة وهذه كانت طبيعة التأليف والتصنيف فى تلك الأزمنة المتقدمة لكن الاتفاق واضح ظاهر على كيفية العلاج والتداوى.

- وثبت أن المرضى بالسكر ينتفعون من عسل النحل إذا كان مُعْطىً لهم قبل الفطور بصفة مستمرة.

وأكثر المرضى انتفاعًا به الذين زادت أعمارهم على الأربعين، ولاسيما الذين يتصفون بالسمنة المفرطة.

---

1 - Andujar, B. P.: "Honey in babu's nutrition. Apimondia Publishing House, Bucharest P. 69, 70. (1974).

2 - Cartland Barbara: "The magic of honey" Aminibook by Corgi PP. 160. Transworld Publishers LTD Cavindish House 57 - 59 Uxibridge Road. Ealing, London W. 5. (1971).

ـ ويستفيد مرضى الحساسية من عسل النحل كذا مرضى الجهاز التنفسى من التهابات حادة أو مزمنة أو غيرها.

ـ وهو منشط للقلب والدورة الدموية.

ـ يتميز بخواص مضادة للبكتريا الممرضة.

ـ علاج كثير من التهابات العيون.

هذا فضلاً عن استعماله فى صناعة الحلوى، لمذاقه الحلو، وعائدته العظيمة، وفوائده الجليلة.

* * *

كما أن شمع النحل مفيد فى صناعة الأدوية ومستحضرات التجميل، وكثير من المعلقات (اللوسيونات) وشموع الإضاءة.

* * *

ثم إن مراكز البحث الطبى فى كثير من الجامعات والمعاهد المتخصصة صرفت همتها، ووجهت عنايتها إلى غذاء ملكات النحل كعلاج شاف ناجع لكثير من الحالات، حتى سارعت شركات الأدوية العالمية إلى تقديمه فى صورة كبسولات بتركيزات مختلفة ١٠٠مجم و ٢٠٠ مجم و ١٠٠٠ مجم.

كذلك فطن العلماء إلى دور حبوب اللقاح وسم النحل فى علاج كثير من حالات الضعف العام والوهن الذى يعترى الشيخوخة والمرضى والناقهين، والمصابين بنقص المناعة.

هذا هو عسل النحل، وهذه هى مشتقاته وتوابعه التى تنطوى على خير عميم.

والله سبحانه وتعالى أكرم مأمول أن يسدد خطانا ويهدينا جميعًا سواء السبيل.

المحققان

هو الإمام أحمد بن على بن عبد القادر، أبو العباس الحسينى، العبيدى، تقى الدين المقريزى[1].

كان ـ رحمه الله ـ مؤرخًا للديار المصرية أصله من بعلبك ولد ونشأ ومات فى القاهرة المحروسة.

كان مولده سنة ست وستين وسبعمائة للهجرة، الموافق سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف للميلاد، واشتق اسمه المقريزى نسبة إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك فى ذلك الوقت المنصرم).

تولى المقريزى الإمامة والخطابة مرات عديدة، كما عُيِنِّ محتسبًا للقاهرة.

قال الإمام السخاوى عنه: كان منسوبًا لحارة فى بعلبك تعرف بحارة المقارزة[2]. ونفس الكلام ذكره السيوطى[3].

وقد كان عمدة للمؤرخين، واسع الباع، رحب الذراع حاز قصب السبق فى علوم الأوائل، لم يشق غبارة، ولم ينسج أحد على منواله فى رصد الحوادث التاريخية وتمحيص الحقائق الجغرافية والطبوغرافية فى عصره.

وقد قدم للمكتبة أسفارًا جامعة لا تزال فريدة فى أبوابها عمقًا وخبرة ودراسة بعيدة المدى.

لقد نشأ هذا العملاق الفذ بالقاهرة، وشرب من فرات النيل القراح، وابترد بماء المحروسة السائغ، فارتوى من نبع فيَّاض دافق، فتأصلت فى طويته خصوبة الوادى السخية فألَّف وصنف، ودرس وحقق، وقدم التصانيف الشائقة الممتعة.

---

(١) ورد فى معجم المطبوعات (١٧٧٨): «سبط بن الصنائع البعلى الأصل، القاهرى المعروف بالمقريزى».

(٢) انظر الدر المسبوك (ص ٢١).

(٣) حسن المحاضرة (١/٢٦٦).

بدأ حياته حنفيًا مقيمًا على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ ثم استمر على هذا المذهب طرفًا وملاوة وحقبة طويلة من الزمن، بيد أنه (على الرغم من الانتشار المذهبى لفقه أبى حنيفة فى مصر وقتذاك) إلا أنه تحول عنه إلى مذهب الإمام الشافعى، وكأنه ضاق بالرأى ومذهب أهله، ولكن اختلاف الرأى لا يمكن أن يكون فى إفساد الود بحال.

وقد اشتهر بالضبط والإتقان الذى تشهد به جملة مؤلفاته ومصنفاته الجامعة التى لا تزال حتى الآن بين ظهرانينا ينهل منها الصادر والوارد، لا تخفى على أحد من أهل العلم.

ولى الإمام المقريزى حسبة القاهرة من قبل الملك الظاهر برقوق بدلا من شمس الدين محمد النجاشى، ثم نُحِّىَ وعزل بالقاضى بدر الدين العينتابى.. ثم ترقى فى درج الوظائف الدينية لما كان عليه من الورع والتقوى وعمق البصر، ونفاذ البصيرة.

عرض عليه فى أوائل الدولة الناصرية بسورية أن يكون قاضيًا لدمشق، إلا أنه اعتذر عن عدم قبوله ذلك من غير تبرير للرفض على الراجح الصحيح.

كان يعيش حياة غريبة إذ كان منزويًا عن الحياة والأحياء فى كسر بيته، ملازمًا للعبادة، قائمًا بشئونه واهتماماته العلمية فى التصنيف، وكأنه وجد فى هذا النشاط مندوحة عن مخالطة الناس، ومخامرتهم، فلم يشأ لأن يهدر طاقاته النفسية والوجدانية فيما لا طائل من ورائه، فلذلك رأى (وقد كان مصيبًا حقًا) بأن العلم هو خير مضنون به ومبذول فى سبيله، من ثم أفرغ طاقاته الجبارة فى هذا المضمار.

لذلك ومن هذه المثابة كان إخلاصه وإبداعه وعطاؤه مضربًا للأمثال، كما كان لورعه وتقواه منزلة ومكانة يشهد بها كل معاصريه وعارفيه.

اشتُهِرَ بالتأريخ حتى كان عمدة المؤرخين بل إمامًا لهم من غير منازع، فقد كان محقوقًا به أن يكون منظورًا إليه لكونه ملحوظ المكانة والدرجة ولورعه ورشده وتقواه.

قال عنه الشيخ الإمام الحافظ السخاوى (رحمه الله): «قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مئتى مجلد كبار، وأن شيوخه بلغت ستمائة نفس، وكان حسن المذاكرة بالتاريخ، لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين، ولذلك كثر له فيهم وقوع التحريف والسقط، وربما صَحَّفَ فى المتون، وأما فى المتأخرين فقد انفرد فى تراجمهم بما لا يوافق عليه». أ. هـ. بتصرف.

ولئن كان السخاوى حافظًا متقنًا إلا أن حكمه على المقريزى لابد وأن يكون متحفظًا عليه، وذلك لأسباب لابد من تجليتها.

فإن السخاوى وهو عالم كبير مشهور لا ينكر ذلك أحد إلا أنه كان مشهورًا بالاستطالة على أعلام عصره، والوقوع فى أعراضهم، والالتفات عن كثير محاسنهم، والاجتهاد فى النيل منهم.

ولعل السيوطى ـ رحمه الله ـ وهو الموسوعى المعروف كان أول من اكتوى بناره، وتلظى فى أواره، إذ كان تلميذًا للسخاوى، ثم انتهى الأمر بأن قذعه بالمنكرات ورماه بالعظائم.

ولكن السخاوى يذكر جوانب طيبة مشرقة عن الإمام المقريزى، وليس لمثله أن يكتم هذه الحسنات المنشورة لأنها لم تخف على أحد.

لكن المؤلم أن ينعى عليه، ويحمل عليه بغير مبرر حينا، وبمبررات واهية أحيانًا كثيرة.

ثم إن التصحيفات أو التحريفات التى هى مدار التجريم ومناط التأثيم ـ فى نظر السخاوى ـ ليست دليلاً قاطعًا على انحسار علمه بالمتقدمين، وليس سائغًا ولا متصورًا ولا مقبولاً أن يُرْمَى إمامٌ وعالمٌ جهبذ ندب تحرير بهذه الفرية لوقوع بعض التصحيفات أو الأوهام فى بعض المواضيع المعدودة.

إن حلقة العلم سحيقة الأعماق بعيدة الأغور وليس البشر معصومين من الزلل والخطأ والنسيان وما سُمِّى الإنسان إنسانًا إلا لأنه ينسى.

لكن الإمام المقريزى كان ذا دربة عميقة، وبصر نافذ، وعزيمة ماضية، وقوة مؤثرة، وطاقة مبدعة بدت جلية واضحة فى محرراته الرائعة.

وقد توفى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ فى القاهرة سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وألف للميلاد.

لم تنطو بوفاته صفحة بذله وعطائه، بل بقيت حتى يومنا هذا وستبقى حتى الأبد الأبيد لانطوائها على خير عميم.

لقد كان حبه لمصر وأهلها وللنيل وضفتيه، لهذا الوادى الأخضر الرحب الفسيح، كان حبًا عميقًا وعمليًا بدا فى تصنيفه الرائع المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

هذا السفر الشائق الممتع ينطوى على حب جارف غير محدود، فسيح رحب لا نهاية له إذ يحتوى بين دفتيه أخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة المعزية، وما يتعلق بها من قريب أو بعيد.

ومن أجمل أقواله التى أوردها فى مقدمة هذا الكتاب:

«فليسبل الناظر فى هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره إن مرت به هفوة، وليغض (أى البصر وهو من الإغضاء أى التجاوز) تجاوزًا وصفحًا إن وقف منه على كبوة أو نبوة» أ. هـ بتصرف.

هذا القول البديع الرائع يعتبر دليلاً صادقًا، وشاهدًا بليغًا على علم الرجل وتواضعه وأريحيته التى هى من خلال العلماء، وخصالهم المحمودة.

هذا هو الإمام تقى الدين المقريزى، وهذ حياته وهذا أثر من آثاره الخالدة نعمد إلى نشره، فنسأل الله تعالى العصمة من الزلل والتسديد والتمكين، وهو وحده المستعان المرتجى وعليه التكلان.

المحققان

مؤلفات المقريزى

١ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

وهو كتاب جليل القدرة نفيس القيمة يتعرض لتاريخ القاهرة والنيل بصفة خاصة، وإقليم مصر تفصيلاً، بصفة عامة.

هذا الكتاب هو المعروف بخطط المقريزى، وهو أشهر كتاب فى موضوعه.

وقد طُبِعَ جزؤه الأول بمطبعة بولاق سنة سبعين ومائتين وألف للهجرة المشرفة، كما طبع جزؤه الرابع بمطبعة النيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف.

كما طبع منه فى كتاب الأنيس المفيد الذى نشره سلوستردى (ساسى) نبذا ونتفا كثيرة، ثم ترجمها للغة الفرنسية.

وترجم منه إلى الفرنسية القسم الجغرافى الأستاذان بوريان وكازانوفا، وطبع منه أجزاء فى المعهد الشرقى. وكان ذلك فى السنوات ١٨٩٣ و١٨٩٥ و١٩٠٦ و١٩٢٠.

٢ـ ألفاظ الحنفاء بأخبار الأئمة والخلفاء[١]

وهو كتاب يسرد تاريخ القرامطة، ويذكر أخبارهم وما كان من أمر الدولة الفاطمية.

نشر هذا السفر القيم الأستاذ هوجوبونز (توبنجن) سنة إحدى عشرة وتسعمائة وألف، وليبسيك سنة تسع وتسعمائة وألف.

---

(١) يسميه حاجى خليفة: «إتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين».

٣ ـ الأوزان والمكاييل (الأكيال) الشرعية

طبع هذا الكتاب بعناية وملاحظة الأستاذ تيكسنَ روستك ـ بألمانيا سنة ثمانمائة وألف.

٤ ـ الإلمام بأخبار من بالحبشة من ملوك الإسلام

نشر هذا السفر باعتناء الأستاذ (رنك) بتافيا منذ زهاء ثلاثمائة سنة تقريبًا، ثم طبعته مطبعة التأليف بمصر سنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف، ومطبعة الموسوعات.

٥ ـ البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب

كان الفراغ من تأليفه سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، ونشر باعتناء وستنفلد وطبع جزؤه الثالث (غوتا) سنة سبع وأربعين وثمانمائة وألف.

٦ ـ كتاب التنازع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم

طبع هذا الكتاب ونشره ومعه مقدمة باللغة الألمانية لأول مرة (فيما نعتقد) الأستاذ چيرار دوس فوس بليدن سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وألف.

وهذا الكتاب ينطوى على دراسة جادة صريحة لما كان بين بنى أمية وبنى هاشم من أحداث ووقائع.

جدير بالذكر أن هذا الكتاب كان من آخر ما حقق أستاذنا المؤرخ البحاثة المرحوم الدكتور حسين مؤنس، بعد رحلة علمية سائقة.

٧ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك

يحتوى بين دفتيه ذكر الحوادث التى وقعت حتى يوم وفاة المؤلف، قال فيه إنه أكمل وأتم كتاب الجواهر (جواهر الإسقاط) وكتاب إتعاظ الحنفاء، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى أيامهم من الحوادث منذ فتحت إلى أن زال الفاطميون، أراد أن يصل ذلك إلى من

ملك مصر بعدهم من الأكراد والأتراك والجراكسة. لم يطبع هذا الكتاب، لكن نشر منه نبذة برعاية العلامة المستشرق (دى ساسى) فى كتاب (الأنيس المفيد والطالب المستفيد)، وترجم منه إلى الفرنسية الأستاذ كاتريمار قسمًا آخر سماه: (تاريخ السلاطين المماليك)، وقد طبع فى فرنسا (باريس) سنة سبع وثلاثين وثمانمائة وألف، فى جزئين[1].

(١) مصادر ومراجع الترجمة:
حسن المحاضرة للسيوطى (١/ ٣٢١)، وشذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٢٢٥)، والخطط التوفيقية لعلى مبارك (٩/ ٦٩)، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة فى مواضع شتى متفرقة منه، والبدر الطالع للشوكانى (١/ ٧٩ ـ ٨١)، والضوء اللامع للسخاوى (٢/ ٢١ ـ ٢٥)، والمنهل الصافى لابن تغرى بردى (١/ ٣٩٤ ـ ٤٠٤)، ومحمد عبد الله عنان فى كتاب مصر الإسلامية، ومعجم المطبوعات ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢/ ١١، ١٢).



هذا الكتاب وقيمته العلمية

هذا هو كتاب (نَحْل عِبَر النَّحل) وهو رسالة قيمة، ذات خطر عظيم لاحتوائها على لطائف شتى من علوم متنوعة مختلفة، إذ تجمع من كل بستان زهرة فيحاء، ففيها من القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب ما تستروح به النفوس المكدودة والأبدان المتعبة.

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور جمال الدين الشيال، مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول، ونشره سنة ست وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد بمعاونة ومؤازرة العلامة الوراقة الناشر عبد العزيز الخانجى.

ونقول المقريزى واضحة سافرة من أمهات الكتب التى تناولت موضوع هذه الرسالة، بصفة خاصة: الشفا للشيخ الرئيس ابن سينا، وحياة الحيوان للدميرى، والحيوان للجاحظ.

وقد نقل ابن البطريق كتاب الحيوان لأرسطو، وهو الذى يحتوى على تسع عشر مقالة، ويعتبر كتاب أرسطو فى الحيوان هو العمدة الذى أخذت منه كل هذه الكتب، بل نحل مادته كثيرٌ من الذين كتبوا عن الحيوان وإعجاز خلقه، حتى الجاحظ شيخ العربية نفسه... وكانت عدم إشارتهم إلى أرسطو كمرجع منقول عنه، ومأخوذ منه تفسح المجال لتوهم أن المؤلف أو المصنف هو صاحب هاتيك الأفكار والإبداعات غير المسبوقة، لكن قارىء كتاب أرسطو لابد أن يدرك تمامًا أنه هو المصدر الأول عن المعلم الأول، وهو المورد السخى الذى تفرعت منه كل هذه الجداول الرقراقة بهذا المعين الدافق الذى لا ينضب مدى الحياة وحتى الأبد الأبيد.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين





للإمام تقى الدين أحمد بن على المقريزى
المتوفى سنة ٨٥٤ هـ

تحقيق وتعليق

د. أحمد السايح
د. السيد الجميلى





قال العلامة: تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد. تميم المقريزى الشافعى:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله، وصحبه، أجمعين. وبعد. فهذا قول وجيز فى ذكر النحل، وما أودع فيه البارى - جلت قدرته - من غرائب الحكمة، وعجائب الصنع، ليعتبر أولو الأبصار، ويتذكر أرباب الاعتبار، والله الموفق.

فصل

النحل حيوان: هيئته طريفة، وخلقته لطيفة، وبنيته نحيفة، وسطه مربع مكعب، ومؤخره مخروط، ورأسه مدور مبسوط، وفى وسط بدنه أربع[1] أيد وأرجل، متناسبة المقادير، كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة.

والنحل أنثى، واحدتها نحلة، وتصغر نُحَيْلة. ومن أسمائها: الْخَشْرَم، والدَّبر. وقيل الدبر للزنابير. وهو المشهور. فإن حمتى الدبر إنما حمته الزنابير. لا النحل. وقيل الخشرم ذكر النحل. ويقال للجماعة من النحل: الثَّوْل. ولا واحدة لها. ويقال لها: الأَوّب، واحد آيب.. وتسمى أيضًا: نوبًا، واحدها نائب.

ويقال: النوب من النحل التى فيها سواد. وقال ابن قتيبة[2]: «يقال لجماعة النحل: دَبْر، وثَوّل، وَخَشْرم، ولا واحد لشىء من هذا».

ومن النحل سود، وهى أصغر من الصغر. والصغر أكبر من السود، والنحل تلد من غير لقاح الذكور، وتتخذ بيوتها مسدسة.

---

(١) فى الأصل (أربعة) وهو خطأ نحوى والصحيح ما أثبتناه.

(٢) هو أبو عبد الله بن قتيبة أديب الفقهاء وفقيه الأدباء.

وهو حيوان فهيم. فيه كيس، وشجاعة، ونظر فى العواقب، ومعرفة بفصول السنة، وأوقات المطر، وتدبير المنزل، والطاعة الكبيرة، والاستكانة لأميره وقائده.

فصل

والنحل تسعة أصناف: منها: ستة يأوى بعضها إلى بعض. وهى تقسم الأعمال [فيما[1]] بينها. فمنها ما يبنى بالشمع. ومنها ما يأتى بالعسل، ويمجه[2] فى أبيات الشهد. ومنها ما يأتى بالماء، فيمد العسل به.

وهى فى ألوانها ثلاثة أصناف: غُبْرٌ وهى أصغرها. وسودٌ وهى أوسطها. وصفر وهى أعظمها.

والنحل والنمل أكسب الحيوان كله، وأدأبه[3] على عمله.

والنحل الكريمة تكون صغيرة مستديرة، مختلفة الألوان.

والنحل المستطيل غير كريم، ولا عمول[4]، ولا متقن لما يعمل.

والنحل الصغار، تخرج تلك الطوال من أبياتها، وتطردها.

وإذا قويت النحل على ذلك. فهو منتهى كرم النحل.

والنحل الصغير عمالة، وهى سود الألوان، كأنها محترقة.

وأما النحل الصافى[5] فى (كذا) النقى. فإنه يشبه بالنساء البطالات التى لا تعملن[6]، والنحل تخرج ما كان بطالا، وما لا يشفق على العسل.

والنحل التى تسرح فى الجبال أصغر من نحل السهل، وأكثر عملاً. وقد جعل الله تعالى فى النحل الملك المطاع، ويقال له: اليعسوب.

---

(١) زيادة تناسب السياق.

(٢) يمجه: يقذفه من فيه، وبابه (رد) والمجَاج هو الريق.

(٣) كذا ورد بالأصل، ولعل الصواب (ودأبه).

(٤) أى ليس عمولاً نشيطًا.

(٥) النحل الصافى: لعله أراد به العقيم.

(٦) كذا ورد بالأصل والمطبوعة، والأنسب (اللاتى) بدل (التى).

يتوارث الملك عن أبائه وأجداده. لأن اليعاسيب لا تلد إلا اليعاسيب. واليعاسيب هى ملوكها، وقادتها، وعليها تأتلف النحل، ويستقيم أمرها، وتنتقل حيث انتقل، وتقيم حيث يقيم. واليعسوب فيها كالأمير المطاع.

ومن العجب: أن العيسوب لا يخرج من الكور[1]، ولا يذهب لرعى، لأنه إن خرج. خرج معه جميع النحل. فيضعف العمل، ومتى عجز الواحد منها عن الطيران، حملته النحل حملاً. وإن هلك يعسوب الخلية. أقامت النحل[2] بعده متعطلة، لا تبنى، ولا تعسِّل، واكتأبت لذلك، وجعلت تطير مع وجه الأرض، فى التراب. فيعلم أنه قد مات اليعسوب. فيُطلب يعسوب آخر، فتأتى به، فتجعله فى تلك الخلية، فتراجع النحل عملها.

واليعسوب أكبر جثة يكون، مثل جثة نحلتين. وهو يأمرهم بالعمل، ويرتب على كل واحد ما يليق به. فيأمر بعضها ببناء البيت، وبعضها بعمل العسل. ومن لا يحسن العمل يخرجه من الكور، ولا يتركه مع النحل، فيبطلهم، وينصب بوابًا على باب البيت؛ ليمنع دخول ما وقع من النحل على شىء من القاذورات.

واليعسوب إذا هم بالخروج طن قبله بيوم أو يومين، ليعلم الفراخ[3] ما هم به فتستعد له.

وأجناس النحل كثيرة: فأما اليعاسيب. فهى جنسان: أحدهما: أحمر اللون. والآخر: أسود، مختلف اللون.

ومنها ما تكون جثته مثل جثة أربع نحلات. وله حُمَة. وهو أسود النصف المقدم، أحمر المؤخر.

وإنما يكون فى كل خلية يعسوب واحد. وربما كانت عدة (أى: يعاسيب)، إذا كانت الخلية كبيرة.

---

(١) الكور: جمع كورة، وهى العسل فى الشمع. قال الأزهرى: الكوار، والكوارة شىء كالقرطالة يتخذ من قضبان ضيق الرأس للنحل. أ. هـ. بتصرف.

(٢) قال الأزهرى فى صحاح اللغة: اليعسوب هو ملك النحل بوزن اليعقوب.

(٣) الفراخ: جمع فرخة، وهى الوليد الصغير للطائر. وجمع القلة: (أفرخ) و (أفراخ).

فإذا [كانوا][1] أكثر من واحد، صار مع كل يعسوب طائفة من النحل. وإذا خرج اليعسوب من الخلية، تبعته النحل كلها.

وإذا كان اليعسوب عظيما [سُمِّى] جَحْلاً ـ بتقديم الجيم على الحاء ـ وملوك النحل لا تلدغ، ولا تغضب؛ لأن اليعسوب حليم جدًا.

وإن فى هذا القدر لعبرة؛ لأن هذا لو كان فى واحد من عقلاء الإنس ـ الذين فضلوا عن جميع الحيوان ـ لكان ذلك عجبًا. ولذلك قال الله تعالى، بعض ما قص علينا ما ألهمه هذا الحيوان على ضعفه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. أى يعتبرون بما قد ألهمه النحل من لطف الصنعة، ودقة الحيلة، مع ضعف البنية. ولذلك زعم بعض العلماء المتقدمين: «أن النحل أشبه الحيوان فى تدبير أمرها بالإنسان» ثم قال: «أمر هذه شبيه بما مرَّ من سوس المدائن الكثيرة الأهل»[3].

والنحل تبنى لملوكها على حدة تكون فيها. وكذلك تبنى لذكورها الزعيم (كذا) وزعم بعضهم: أن الذكور تنفرد ببناء بيوتها.

وبعضهم: أن الذكور لا تعمل شيئًا. والعمل للإناث. وهى تقوت ملوكها وذكورها، وليس للنحل أقوات إلا العسل.

والذكور لا تكاد تخرج إلا إذا أحبت أن تحرك أبدانها لتخف. فإنها حينئذ تخرج بأجمعها، فترتفع فى الهواء، فتدوى، ثم ترجع، فتدخل الخلية.

وإذا كان الزمان جدبا، وقلَّ العسل. قتلت النحل ذكورها، وكثيرًا ما يهرب النحل الذكور إذا أحست بذلك. فتُرى واقعة على ظهور الخلايا خارجًا.

---

(١) ورد بالأصل المخطوط (كان)، كذا فى المطبوعة والأفصح كما أوردنا.

(٢) النحل: ١١. فى الآية حث وحض على التفكير والتدبر فى آيات الله ودلائل عظمته فى كتابه المنظور، الذى تتجلى فيه روعة خلقه وإنشائه.

(٣) الكثيرة الأهل: العامرة المأهولة.

وهذا شاهد على ما ذكروا من شح النحل[1] على العسل، وشفقتها عليه، والحرص على الإدخار، والأخذ بالوثيقة عند سوء الظن، مع طيب النفس، والسلس عند رخاء البال، وإمكان الكسب. وإن هذا لخلق عجيب، وفهم لطيف.

وكذلك ما ذكروا من طردها ذوات البطالة منها، الكسالى، المتكلة على كسب غيرها، والمعولة على ذخائر سواها.

ولو أننا استعملنا مثل هذا التدبير فى كسالانا كان أحزم لنا، وأنفع لهم.

ومن الشاهد على أنها لأنفسها ادخرت ما فى بيوتها، وما جمعت من كدها[2] ـ لا لغير ذلك ـ شدة شحها عليه، وضنها به، وذبها[3] عنه، وولها إذا عرض له، وإلقاؤها نفسها فى المهالك. فإنها تقاتل كل شىء عرض لذخائرها، ثم لا تهرب منه ـ كائنًا ما كان ـ إلا ما كان من أمثالها من النحل. فإنه ربما أراد بعضها الغارة على بعض. فاقتتلت حتى يقتل بعضها بعضًا، أو يهزمه. فيهرب المقهور منها ـ حينئذ ـ ويسلم حوزته.

قال ابن سينا: «وقد قاتل النحل نحلاً غريبًا زاحمها فى الخلية. وكان رجل يعين النحل الأهلى فلم تلسعه ألبته».

والنحل إذا قويت على شىء لسعته أبدًا حتى يموت أو يهرب. ولذلك احتالت الشارة[4] لها بالدخان؛ حتى جَلَوْها به، ووصلوا إلى العسل.

قال أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا فى كتابه «الشفا»: «وإذا لدغت النحل حيوانًا، وخلَّفت الإبرة فيه ماتت، وربما قتلت النحلة من تخلف فيه الإبرة، وقد قتلت فرسًا».

قال: «وقد أخبرت بقرية فيها خلايا النحل. أنهم غُزوا مرةً، وكاد الأكراد ينهبونهم، فسلطوا عليهم النحل. فهزمت النحل أولئك الأكراد لسعًا لهم، ولدوا بهم».

---

(١) لكونه شحيحًا ضنينا بالعسل، إذ يعمد إلى إدخاره وتخزينه.

(٢) الكد: العمل الشاق.

(٣) ذبها عنه: دفاعها عنه.

(٤) الشارة: الذين يستخلصون النحل من مناحله. فيقال شار العسل فاشتاره فهو مشتار.

والنحل إذا لسعت شيئًا، فنشبت حُمَتها[1] فيه، لم تستطع رجع حُمَاتها فتنصل، فإذا نصلت حمتها ماتت.

والحماة: الشعر فى أذنابها، التى بها تلسع. وهى إذا شاءت أخرجتها، وإن شاءت ردتها.

وإنما الحمة فى العربية السم. إلا أن العامة تسمى ذلك الشعر: حُمَاة.

قال ابن سينا: «لا يبعد أن تكون إبرة النحل، ـ مع أنها سلاح ـ نافعة فى إحالة جوهر الرطوبات العسلية. بأن تأتيها، وترسل فيها قوة ما.

وإذا دخن لها. فأحست بأنه يؤخذ ما فى بيوتها من العسل، بادرت إلى أكله. فتأكله أكلاً ذريعًا. حتى لو أمكنها استنفاده لفعلت.

وفى ذكورة النحل صنف تقاتل النحل، فتدخل فى بيوتها، فتأكل العسل، وتسمى «اللصوص» فإذا قدرت النحل عليها، أو ظفرت بها فى مثاويها قتلتها. ولا تخلو مثاويها ـ إذا سرحت ـ من حفظة منها تكون فيها.

وإذا كان النحل كريمًا. لم يترك فى الخلية هامة، تضر بالشهد إلا قتلتها، أو أخرجتها.

وأمَّا غير الكريم، فإنه يتوانى، ويتغافل، ويترك أعماله تفسد، وتهلك.

ويَعْرِض للخلية من بطالة النحل وتهاونها. رائحة منتنة جدًا، فتفسد.

وجنس النحل ألطف أجناس الحيوان كلها. ولذلك تكره كل رعى يكون منتنا، أوزهم الرائحة[2]، والأدهان. وإن كانت عطرة، وتلسع مدهن إذا دنا منها[3]. وتوافقها الأصوات اللذيذة المطربة.

ولا يغترون بشىء من معايش الناس. والنحل يحب الصعتر، وأجوده الأبيض.

---

(١) حمة النحل معروفة مثل حمة العقرب.

(٢) الزهومة: الريح المنتنة، وبابه (طرب).

(٣) دنا: اقترب.

والنحل تستتر عن الريح، وتشرب الماء الصافى، ولا تشرب إلا بعد إلقاء التفل.

وإذا سرحت، ورعت. قيل: «جرست، تجرس، جرسًا».

إذا أخذت الشحم من الزهر أو العسل - كل شىء جرس.

والنحل تجىء بالشمع على أعضائها، وترى النحلة مثقلة به. وذلك الشمع نابس منها. أى متحرك.

وقد أعيا الناس أن يعاينوا أخذ النحل الشمع، وظن قوم أنه شىء يكون لاصقًا، ببطون الأنوار كالغبار. تكون منه لزوجة، وتوجد هذه الصفة فى الأنوار. فيرون أن النحل تحتُّ ذلك بأعضائها، وأنها تجىء بالشمع على أيديها المقدمة، ثم تحتها عنها بقوائمها المتوسطة.

فإن بقى شىء على قوائمها حتته عنها بأرجلها المؤخرة. وأما العسل فإنه شىء يكون فى أعماق الأنوار، من لطيف غذاء النبات، قد انتهى فى النضج، فحلا وعذب.

والنحل تغمس ألسنتها فى أعماق النوار، تترشف تلك الجناة، ومن اختبر ذلك عرفه. فقد قصصنا كثيرًا من الأنوار، فوجدنا فى أعماقها تلك الحلاوة، وذلك الترشف هو جَرْسُها [أى] العسل.

وألسنة النحل حرق طوال، حديدة الأطراف، مهيأة لهذا الشأن، لا للصوت. فإن النحل لا تصوت، ولا شىء من الذباب. والنحلة ذبابة. وبهذا العضو توصَل جميع أجناس الأذية إلى غيرها.

وبه توصل أيضًا الطعم إلى أجوافها؛ لأن طعمها ليس شيئًا سوى الرطوبات فبهذا العضو تمتصها، ثم ترد ألسنتها تلك فى أوعيتها من أفواهها.

وسميت ألسنة، وليست بألسنة، ولا خراطيم، ولكنها بالألسنة أشبه.

وإذا ترشفت النحل تلك الحلاوة من الأزهار، والأنوار. فجمعتها فى صدورها، أقبلت إلى الشهد فأتاعته. أى أفرغته فى نخاريبه.

والنخاريب ـ بالنون قبل الخاء المعجمة ـ الثقب المهيأة من الشمع ـ وبالتاء المثناة من فوق ـ فردت كبيوت الزنابير.

والنحلة إذا وقعت على ضرب من الزهر. فلم تكتف بما جرست منه. انتقلت إلى مثله من جنسه، ولم تنتقل إلى جنس آخر. إلى أن تراجع الخلية، فتمج ما استوغت[1]، ثم تعود إلى الرعى. فإذا امتلأت بيوت الشهد من العسل على تلك النخاريب، غطته بغطاء رقيق من الشمع، حتى يكون الشمع محيطًا بها من جميع جوانبها، كأنها رأس ألْبَرْنِيَّة[2]، مسدودة بالقراطيس، لينضج العسل. فإنها إن لم تفعل ذلك فسد الشهد، وتولد فيه دود يسمى: العنكبوت. فإن قويت على تنقيته منها سلم الشهد، وإلا فسد كله.

وإذا أزهرت الأعشاب حملت النحل الشمع. ولذلك ينبغى أن يؤخذ بعض الشمع فى تلك الأيام. إن احتيج إليه. فإنها تعيده من ساعته.

والنحل تعمل فى العسل فى زمانين: فى الربيع والخريف، والربيع أجوده، وأكثره.

وهى تجيء إلى بيوتها بشيء آخر، ليس بشمع، ولا عسل، ولكن بينهما، كأنه خبيص يابس، فيه بعض اللين. إذا غمزته تفرق، وليس بشديد الحلاوة، ولا عذب. يشبه القدماء حلاوته بحلاوة التين. تجيء به النحل كما تجيء بالشمع، تحمله على أعضاءها، وسوقها.

والعرب تسميه «الأكْبِرُ» ـ بكسر الباء وضمها ـ وهو «الموم» ويقال فيه «العكْبِرُ» فترى النحلة تطيرَ، وذلك العكبر متعلق بها، فتجعله فى نخاريب الشهَد مكان العسل، ولا تكثر النحل منه إلا فى السنة المجدبة.

وأكثر ما تأتى بالعكبر من السدر. والناس يأكلونه كما يُؤْكلُ الخبز، فيشبع، ويحملونه فى المزاود إذا سافروا. وهو مفسد العسل. والنحل تأكله إذا لم تجد غيره.

---

(١) أى ما تسوغ.

(٢) (البرنى) من أنواع التمر، وهو أيضا بمعنى الخزف.

والنحل تشرب من الماء ما كان صافيًا عذبًا، وتطلبه حيث كان، ولا يأكل من العسل إلا قدر شبَعه، فإذا قل العسل فى الخلية قرنه بالماء، ليكثر، خوفًا على نفسه من نفاده.

وللنحل نجْو، وأكثر ما تقذف إذا كانت تطير فى دفعات. لأن فى زبلها نتنا، وهى تكره النتن. فإذا أنجت ففى موضع معتزل، لا يختلط ببنيانها، ولا يفسد من عسلها شيئًا.

وإذا امتلأت نخاريب الشهد عسلاً ختمتها، وتختم أيضًا ما يكون فيه فراخها من النخاريب بأرق الشمع.

والختم أن تسد أفواه النخاريب بشمع رقيق، ليكون الشمع محيطًا بالعسل فى وجه. وربما لطخت الختام بشىء أسود، شديد السواد، حريف الريح، شبيه بالشمع. وهو من الأدوية الكبار للضرب والجروح، ويسمى بالفارسية «موميای» وهو عزيز قليل.

ومن خاصيته أنه يجذب الشوك والنصول، ويقال من استصحبه أورثه الغم، ومنعه الاحتلام.

والنحل تحس بالبرد والمطر، وعلامة ذلك لزومها الخلية، وفى لطف إحساس كثير من الحيوان عجيب عجيب، و «إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب»[1] ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[2].

فصل

الشمع هو جدران بيوت النحل، التى تبيض فيه، وتفرخ فيها.. ويكون خزانة للعسل، ويقال الشمع ـ باسكان الميم وتحريكها ـ ويقال الشهد ـ بضم

---

(١) ليست هذه آية من القرآن، إنما الآية هى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾.
وقد وضعها محقق المطبوعة (نقلا عن الأصل) بين علامتى تنصيص بما قد يوهم أنها آية من القرآن الكريم.

(٢) المؤمنون: ١٤.

الشين وفتحها ـ والواحدة شهدة. وفيها الوجهان. والضم لغة أهل الحجاز، وجمع الشهد شهاد. وكل شهدة قرص. والجمع: قروص. وللمأوى النحل وبيوتها أسماء: فإن كانت بيوتها فى الجبال. فهى: المباءة، والوَقْبَة، والجَبْح. فإذا عسَّلت النحل فيما يتخذ لها الناس من الخشب فهى النحايب، واحدتها نحيبة. وتسمى الخلايا، واحدتها: خلية.

وكذلك ما يعمل لها من الطين والأخثاء فهى خلايا. وقد يسمى ما تتبوأه[1] فى الجبال أيضًا: خلايا.

ومن الخلايا ما تنصبه فى الحيطان، وأكثر ذلك تنضدها فى المصانع، وواحدتها مصنعة. وهى موضع يعزل للنحل، منتبذ[2] عن البيوت، فتنضدها شيئًا فشيئًا فأعلى نشر. وتخالف بين أبوابها، فتكون أبواب ساف[3] إلى أدبار ساف كذلك حتى تنضد جميعًا. فربما كان المنضد منها مثل الدار العظيمة، ثم تغطى لتكنها.

ويقال للخلية معسلة، وقطرً فلان معسلته. إذا أخذ ما فيها من العسل.

والخلايا الأهلية تسمى فى بعض البلدان الدَّبَّاسات، ولا تعرف فى كلام العرب. وتسمى أيضًا الكوارات. والجمع كواير، والواحدة كوارة، وهى عربية.

وقيل الكواير صغار الخلايا. وقيل إذا بنت النحل بيتا من غير أن يوضع لها فهو الكوارة ـ بضم الكاف ـ ومن لطيف معرفة النحل بما يصلحها: أنهن قد علمن ضعفهن. فهن يشيدن عشاشهن وتحصنها بالضيق والاعوجاج. وإذا كان باب الخلية واسعًا ضيقته.

ومن شأن النحل فى تدبير معاشها إذا أصابت موضعًا نقيا بنت فيه بيوتا من الشمع أولاً. ثم تتخذ البيوت التى تأوى فيها ملوكها. ثم بيوت ذكورها. ثم بيوت إناثها.

---

(١) يتبوأ: ينزل.

(٢) منتبذ: مُبْعَد.

(٣) الساف: كل عرق من الحائط.

والنحل تعمل الشمع أولاً. ثم تلقى فيه البزر، وتقعد عليه، وتحضنه كما تحضن الطير، فالشمع لها بمنزلة العش للطير،والبزر بمنزلة البيض. وهى تملأ بعض البيوت عسلاً، وبعضها فراخًا.

وهى تتخذ البيوت قبل المرعى. فإذا استقر لها بيت، خرجت منه فرعت. ثم آوت إلى بيوتها. وهى تبيض فى بعض البيوت، وتحضن، وتأوى إلى بعض بيوتها، وتنام فيها أيام الصيف، والشتاء، ويوم المطر، والريح، والبرد.

ومن آفات الخلايا السوس. ودواؤه: أن يطرح فى كل خلية كف ملح، وأن تفتح فى كل شهر مرة، وتدخن بأخثاء البقر.

ومن آفاتها أيضًا دود يتولد فيها صغير، تنبت لها أجنحة، وفراشة رقطاء تدخل الخلية، فتأكل كل العسل، حتى تربو، ولها عينان وسمعان.

فتضر بالنحل وبالعسل، ولا تستطيع الخروج من الخلية لعظمها حتى تفتق الخلية، فتوخذ، فتذبح.

والسرفة مضرة بالخلايا. وهى دودة رقطاء شعراء، تأكل ورق الشجر، وتنسج عليه، وهى من آفات النحل.

ومن آفات النحل الدَّبْر يقتلها، ويذهب بها إلى بيوتها. ومن آفاتها الخطاطيف، والضفادع. فإنها تلتقط النحل إذا وردت لتشرب، ومن آفاتها الجراذين[1]، تكمن لها بقرب الخلايا فتلقفها، ولا تقدر النحل لها على ضرر.

والنحل تمرض على رعى الزهر التى وقعت عليها القملة، وإذا كان الربيع ممحلاً[2]، أو حارًا، شبيها بالصيف فى الحر، وقلة المطر، لسرعة المحل إلى النحل.

ويعرف خصب الخلية بكثرة دوس النحل فيها، وخروجها، ودخولها.. ويسمى فراخ النحل الطَّرْد. والجمع طرود. ويسمى أيضًا اللَّوْث.

---

(١) الجراذين: جمع مفرده (جرذ) وهو ضربٌ من الفأر. ويجمع أيضًا على (جرذان) بكسر الجيم.

(٢) ممحلاً: أى مجدبًا.

والنحل تودع فراخها نخاريب الشهد، وتختم عليها بالشمع. فإذا آن لها الخروج شقت الختام، وخرجت. وملوك النحل لا ترى خارجًا إن لم تكن مع عنقود من عناقيد الفراخ. وإذا خرج معها التفت الفراخ به. وإن كانت عدة ملوك افترق الطرد. فصار مع كل واحد من الملوك فرقة من الطرد.

وإنما قالوا عناقيد الفراخ؛ لأن شكل الفراخ إذا خرجت من الخلية فى التفافها مثل عنقود.

وإذا خرجت الفراخ بيعسوبها، وسقطت على شجرة أو غيرها. احتال القوم على يعسوبها حتى يأخذوه، ويلقوه فى خلية أو نحوها. فإن الفراخ كلها تصير معه حيث يصير.

وإذا أخذ يعسوب خلية لاتبعه جميع نحل تلك الخلية حبًّا ليعسوبها. وإذا هلك الملك هلك جميع الطرد، وإن خرج الملك طلبه الطرد، حتى يجده بمعرفة رائحته.

والعسل الحسن عسل الفراخ، لقلة تجربتها. وذلك أنها مبتدئة، فلا تترك غاية، وإذا خرجت الفراخ الحدث ابتدأت فى العمل بعد ثلاثة أيام.

وإذا أرادوا إدخال الفراخ الخلية. دلكوا باطنها بورق طيب الرائحة. لعجبها به. لأن النحل تعجب بالرائحة الطيبة، وتكره الرائحة الخبيثة. ولذلك ربما كرهت خليتها، وهمت بتركها.

وعلامة ذلك أن يتعلق بعضها ببعض. فإذا رأى القوم ذلك عرفوه، فنضحوا داخل الخلية، بشراب حلو فتألفها.

وإذا دهن إنسان يده بدهن كريه الرائحة، ثم أدناها إلى النحل لم تلسعه.

وفراخ النحل أزعر[١] من الأمهات، والأمهات زغب[٢] الرقاب، قُرْع الرؤوس، وفى رؤوسهن قبح.

---

(١) كذا ورد بالأصل والمطبوعة.

(٢) زغب الرقاب: الزَّغَب هو الريش الصغير، أو الشعيرات الصغار الصفر على ريش الفرخ.

والنحل تسمى أول ما تخرج أولادها [المراضيع] وتسمى الفراخ «الرضع» وليس ثم رضاع. وإنما هذا استعارة.

وإذا تمت الفراخ نحلاً[1]. قيل: هى نحل أبكار، إلى أن تفرخ. ومنه كتاب الحجاج بن يوسف الثقفى. إلى عامله بفارس: «أن ابعث لى بعسل من عسل خلاَّر، من النحل الأبكار، من المستفشار، الذى لم تمسه النار». وروى «عسل أبكار، يريد الجوارى الأبكار لا يليه غيرهن».

والنحل الكريم هو الذى يتقن عمله، فيأتى بوجوه الشهد مُلْسًا. وإذا لم يكن كريمًا. جاء الشهد قليل الاستواء، منفتح الخاتم. كأنها تعمل أعمالها بالبحث كيفما جاء.

ويقال إن العسل الأبيض عمل شبابها، والعسل الأصفر عمل كهولها. وذكور النحل أعظم جثثا من إناثها، ولا حُمَات لها. وهى أبطل، وأقل حركة.

والنحل إذا كثرت ملوكها فى الخلايا قتلتها، لئلا تكثر، فتشتت النحل، لأن النحل يتفرق على الملوك.

ويشار عسل الخلايا فى السنة مرتين، مرة فى الربيع. وهو أجود الشيارين، ومرة فى الخريف. يقال: «شار العسل يشور شورًا ومشاورة، واشتاره اشتيارًا، وأشَارَهَ يشيره إشارة» والشور العمل فى اجتناء النحل وأخذه، ثم العسل أربا.

والعامة تسمى شَيَّار العسل جزارًا. فيقولون: جزار الشهد، ويسميه آخرون: قطافا. وإذا أرادوا اشتيار العسل، دخنوا على النحل حتى يخرج من الخلية. وذلك جلاؤها. وقد جلاها يجلوها جلاء، وهى جلوة النحل، أى طردها بالدخان.

---

(١) بالأصل المخطوط: المراضع والصواب كما قال ابن سيده (المراضيع).
وذلك لأن المراضع للعاقلات، أما المراضيع لغير العاقلات، وهذا من لطيف اللغة.

ويقال لذلك الدخان: الإيام، ولا يقال لشيء من الدخان إيام سواه. فيقال: إذا دخن عليها آمها - بالمد - يؤومها، إياما فهو آيم. والنحل مؤومة. وإن شئت مؤومة عليها.

فإذا جلوها بالإيام - فى أخذ الشيارين. وأخذوا ما فى الخلية من العسل تركوا لها مقدار قوتها فى شتائها. وإلا هلكت. وربما جعلوا مكان العسل تمرًا، أو زبيبًا، ونحوه من الحلو، فتقتاته. فإن ترك لها من العسل أكثر من حاجتها تعطلت، وقل عملها.

ومما ينشط النحل للعمل. أن تقل الذكور فى الخلية. فإذا قطف الشهد، فمن الناس مَنّ يخلص العسل من الشمع بالنار، ويطبخ الشهد. حتى إذا ذاب أقره حتى يبرد، فيعلو الشمع جامدًا، فيؤخذ ويبقى العسل خالصًا. ومن الناس من يخلصه بالاعتصار بالأيدى، وإن كان كثيرًا فبالأرجل وذلك هو الدستفشار الذى لم تمسه النار وهو أفضل.

وكان للعرب فى كل مصنعة (كذا) من مصانع العسل معصرة من مجيرة (كذا). يلقى الشهد فيها. فإذا ألقى الشهد فيها تكسرً، وبرز العسل عفوًا، فجرى وسال فى حياض. فيجتمع فيها وقد أزيل الشمع، وخلص.

فما برز من العسل عفوًا وجرى. فذلك العسل وأصفاه، وما سال إلى الحوض. وقد سال شمعه سُمِّى ذوبًا وشيلاً. فإن بقى فى الشمع من العسل شىء اعتصر بالأيدى. ثم تدعى العسل فى الوجاب. والوجاب أسقية عظام. السقاء منها جلد تَيْس وافر. وواحد الوجاب وَجْبٌ.

وكانوا لا ينتفعون بالشمع، ويرمون به، فإذا تطاولت الأيام بَلِىَ فاسود، فزيل به المزارع. فهو أجود سماد[1].

ويقال لما يُدعى فيه العسل أيضًا «زق» وجمعه «زقاق». وإذا خلص العسل من شمعه وجثه. فهو ماذى. والجث كل قذى يخالطه من أجنحة النحل، وأبدانها، وفراخها، وموتاها، وغير ذلك. وماذى العسل ناصحه، ونصوحه:

---

(١) فى الأصل (دمال): وهذا تحريف خطير من الناسخ فالأنسب للسياق ما أثبتناه هنا.

خلوصه. والنصيحة مأخوذة منه. ويقال: الجث: خرشاء العسل. أى شمعه، وما فيه من ميت النحل. والبعض: خرؤها.

وإذا كانت وقبة النحل فى الجبل، وأمكنهم الارتقاء إليها ارتقوا فاشتاروا ما فيها. وإن لم يمكنهم الارتقاء ـ وذلك أن النحل تهرب بما تأتى به فتجعله فى أمنع ما تقدر عليه من وقاب الجبال ـ فإذا كانت الوقبة كذلك تدلوا عليها بالحبال الطوال، وربما وصلت الحبال، وكثيرًا ما تنقطع فيعطب المتدلى.

وإذا تدلى المشتار، وقد لبس صدار أدم وأخذ معه حاقته ـ وهى وعاء من أدم كالخريطة واسعة الأسفل ـ يجعل فيها ألته وصفنه. والصفن شىء مثل السفرة، ربما جعل فيها العسل، وربما استقى به الماء، ومعه يسأبه ـ وهى سقاء العسل ـ وربما كان قربة، ومعه أخرامه ـ وهى قضبان ينزع بها الشهد ـ كل ذلك مشاور، الواحد منها «مشوار» لأنه يشتار به. وهى أيضًا «المحايض» واحدها «محيض».

فإذا استقر فى مباءة النحل حل الحبال، وقدح بزنده، وآم على النحل، ثم استشار، وأوعى فى مسايبه، وقربته، وصفته. ورقاها بالحبال إلى أصحابه، أو أهبط بها إن كان ارتقى على رجليه. وإن كان العسل كثيرًا ملأ منه الأسقية الكثيرة.

وإذا كانت الخلية هكذا فهى عاسلة، والجيح عاسل ـ أى كثير العسل ـ ويقال للذى يشتار العسل أيضًا عاسل. وكل موضع عَسَلٍ من وقبة أو خلية فهو مَعْسَلٌ.

وإذا كانت الشهدة رقيقة خفيفة العسل فهو: هِنٌّ. وإذا كانت نخاريبها فارغة فهى مجرية. ويقال للثقب المهيأة من الشمع التى تمج العسل فيها النخاريب ـ واحدها نخروب ـ.

ومن لطف حسن النحل أعجوبة قد تحير فيها قدماء العلماء. وذلك أنه إذا أزمع شتاء شاتٍ بالكون أو مطر، من غير أن يرى الناس لذلك أمارة،

ترى النحل قبل كون ذلك ساكنة فى داخل الخلية، فيعلم قُوَّامُها ـ بطول التجارب ـ أن قد اقترب شتاء، وبرد، ومطر.

وكانت العرب تعلم أن بردًا قد اقترب وقوعه، أو جرادًا قد دنا مجيئه. بما يرون من حال النحل[1]. وذلك أنهم يرونها قبل أن يكون ذلك فاترة فى العمل. كأنها قد اعتراها كسل وانكسار. فعند ذلك يترقبون أنّ سيكون برد أو جراد. فيكون كذلك.

والبرد والجراد مضران بالنحل، وأضرهما الجراد، لأنه يلحس الأرض فتهلك النحل.

وكفى عجبًا بما تراه. من أنك إذا فتحت وعاء العسل فى بيت ضيق، وعلى بعد منك خلايا نحل. فمّا تشعر بأول من هجوم النحل عليك. وفى البيت بيوت أُخَر بها أناس لم يشعروا بفتح ذلك الوعاء.

وكذلك الخلية إذا حُوِّلت من أرض إلى أخرى لم تعرفها نحل تلك الخلية قط.

فإذا نصبت فى تلك الأرض الغريبة، ثم فتحت وذهب النحل منها فى تلك الأرض المجهولة من كل وجه. فإنها تؤوب إلى خليتها بعينها. لا تخطئها، ولا تضل عنها. وربما حُملت الخلايا فى بعض البلدان ـ إذا أجدبت المراعى ـ إلى بلدان آخر، لتتابعه لطلب المرعى. ثم تطلق عنها فتسرح فى تلك البلاد، وتعمل أعمالها من غير تدريب، ولا تدريج، كما كانت تعملها من قبل. ثم لا تغلط نحلة فتدخل فى خلية غير خليتها. والخلايا متلاصقة أو مجاورة، وفى كل هذا عبر وأعجوبة.

ومن الدبر جنس أسود، شديد السواد، عريض قصير. كأنه فى الخلقة صغار الجعلان. ولها حُمَاتٌ مؤذية. تعسل عسلاً قليلاً، فى نخاريب تبتنيها

---

(١) أى إن حال النحل يعتبر مسبارًا، ومحرافًا يقاس به تغير الطقس، وهذا من منافعه، ومن لطيف مشاهدات العرب.

من الطين أشباه البلوط، تلصقها بالصخر، وتعسل فيها عسلاً صلبًا جدًا. ثم تختمها أيضًا بالطين، فتجدها الرعاة والحطابون كذلك. فربما وجدوا منها العشرين والثلاثين فى مكان واحد - لاصقا بعضها ببعض - فيستخرجون العسل الذى فيها فيأكلونه، وذلك نذر قليل.

ومن الدبر جنس آخر أصفر، صغير، مخطط، أوغر أملس، أدق من النحل وأخف، مؤذى اللسع. وإذا لسع لم تنصُل حُمَته. يزعمون أنه يعسل عسلاً قليلاً.

والبلاد الباردة أوفق للنحل، والنجود أوفق من الأغور. وجرت العادة بأرض مصر: أن فراخ النحل، نجمع من شهر «أمشير» وتبتدى بجناه فى «برموده».

وأجود مراعيه القرط، والجلبان، وتسقى أمهاته العسل عند اشتداد البرد. وحدوث الهواء الشديد.

ومقدار ما تسقى المائة خلية عشرة أرطال. والذى يتحصل من المائة خلية فى كل سنة ما بين ستة قناطير إلى خمسة قناطير، وعشرون رطلا من الشمع، ويموت فى السنة على الأكثر عشرون خلية.

فصل

العسل يؤنث ويذكر، ويُصغَّر «عُسَيْلة» ويجمع على عسول، وأعسال، وعسلان، وعسل. إذا أردت ضربًا منه.

ويسمى العسل الأرْى. وأصل الأرْى: العمل. يقال: أرت النحل أَرْيًا إذا عملت العسل، وبنت الشهد.

ويقال للعسل: لعاب النحل. ويقال له: الشَوْب، والسلوى، والذوب. وكل جار دائب.

ويقال للعسل: النسيل، والنسيلة، والذواب، والطرم. ويسمى جنى النحل، وريق النحل، ومجاج النحل.

والعسل مختلف الألوان، والطعوم، والروائح، والمتانة، والرقة، والصفاء، والكدر، وكثرة الحلاوة وقلتها. وكل ذلك على قدر النبات الذى يجرسه النحل.

فعسل الندغ، والسحاء، أبيض ناصع البياض، كأنه زُبْد الضأن فى البيان. وهما شجرتان بيضاوتا الزهر.

والندغ صعتر البر، والسحاء أيضًا صعتر البر. وقيل: السحاء: شوك قصار، كثير الزهر، كثير العسل. لا يرعاه إلا النحل فقط، وأكثر منابته تهامه.

وقد روى الأصمعى[1]: أن سليمان بن عبد الملك بن مروان[2]. حج فأتى الطائف، فوجد ريح الندغ. فكتب إلى والى الطائف: «انظر لى عسلاً من عسل الندغ والسحاء، أخضر من السقاء، أبيض فى الإناء، من حِدَاب بنى شبابة».

وواحد الحداب: حَدَبة. وهى جبال من السراة، ينزلها بنو شبابة، من فهم بن مالك بن الأزد، وليسوا من عَدْوَان. وحداب بنى شبابة أكثر أرض العرب عسلاً، وعنبًا، وتينًا، وربًّا.

واليمن كلها أرض عسل. ويقال: إن عسل الندغ إذا كان فى السقاء فنظرت إليه. رأيته كأنه اللبن المذُرَّح. فإذا أخرجت منه شيئًا فجعلته فى إناء رأيته أبيض. وكذلك جميع العسل إذا كان كثيرًا فى وعاء عظيم رأيته أخضر.

فإذا أخرجت منه شيئًا تبين لونه إن كان أحمر، أو أصفر، أو غيره والمذرح الذى كثر عليه الماء. فإذا كثر عليه الماء أخضر.

---

(١) هو عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى، أبو سعيد الأصمعى، راوية، إمام فى اللغة والأدب، لم ينكر أحد فضله ولا طول باعه فى اللغة والشعر. ولد وتوفى بالبصرة. له تصانيف كثيرة معتبرة. توفى سنة ست عشرة ومائتين للهجرة.
انظر جمهرة الأنساب (٢٣٤) ووفيات الأعيان (١/ ٢٨٨) وتاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠).

(٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموى المعروف، كان عاقلاً فصيحًا، توفى فى دابق (من أرض قنسرين ـ بين حلب ومعرة النعمان) ـ سنة تسع وتسعين للهجرة.

وأصل عسل العرب. عسل الشيعة وهى شجرة لها نور ذكى، وعسل الضُّرْم. لونه كلون الماء. وهو أجود عسلهم. والضرم أبيض اللون. ونباته شبيه بنبات الندغ.

ومن عسل العرب المذخ. ونحله تجرس رمان البر الذى يقال له: الَمظُّ. وأن جلَّناره كثير العسل. والعسل الصعترى معروف. وهو أشد العسل حروفة، وأرقه.

وكذلك العسل اللوزى معروف. وليس من عسل أرض العرب. وهو من أشد العسل اعتدالاً، وفيه رائحة نور اللوز. وأكثر ما كان يؤتى به من بلاد الجزيرة.

وكل نبات كثر ببلاد فيها نحل. فإن الغالب على عسلها عسل ذلك الشجر. وإذا اختلف نباتها لم يغلب على عسلها نبت بعينه.

وقد يصير العسل مرا إذا جرست نحله النوار المر، كعسل الإفسنتين. وليس من نبات بلاد العرب. وفى عسله مرارة، وعسل السدر قليل الحلاوة، قليل المتانة.

ومن كل الشجر تجرس النحل. إلا أن تكون شجرة خبيثة الرائحة زهمة. أو ذات سم. فإن لا تقرب من ذلك شيئًا.

وأجود العسل عند العلماء ما طاب ريحه، وعذب طعمه، وصدقت حلاوته، وَمَتُنَ حتى إذا مددته امتد، وخلته لون الذهب. فإذا قطر على الأرض استدار، واجتمع إلى نفسه.

فإذا وعى العسل فى الجرار علا أرَقُّه، وسفل أمتنه وأجوده. وأما ما أسودَّ من العسل فإنه ردىء ـ ما لم يكن سواده من تقادم ـ فإن العسل إذا تقادم مال إلى السواد، ونقصت حلاوته.

وإذا كان العسل متينا صلبا، فهو ضَرْب. وكذلك الشهد. يقال: استضرب العسل إذا صلب واشتد. وقد يبلغ من شدة العسل فى بعض البلاد أن ينكسر الشهد كسرًا.

والعسل المتقادم الشديد كله يستضرب. ويقال للعسل المتين: «حَمِيتْ». ويقال للعسل الشديد: «جَلْسٌ». ويقال لما رق من العسل: «وديس».

فصل

ذكر[1] القدماء من الحكماء: أن العسل طَلٌّ خفىٌّ. يقع على الزهر، وعلى غيره. فيلقطه النحل.

وذكر أن هذا الطل بخار. يتصاعد، فيستحيل فى تصاعده، وينضج فى الجو[2]، فيستحيل أيضًا، ويغلظ فى الليل، فيقع عسلاً. إلا أنه يختلف فى وقوعه إلى الأرض.. فمنه ما يقع عسلاً ـ كما هو فى بعض الجبال ـ ومنه ما يقع على الأشجار والحجارة. وهذا القسم يختلف بحسب ما يقع عليه. فما ظهر منه لقطه الناس، وما خفى منه تلتقطه النحل، وتتصرف النحل فيما تلقطه منه تأثير (كذا) فإنه يلقطه ليغتذى، وليدخره.

وذكر أرسطو[3] أن هذا النحل[4] من الفضول الحلوة، والرطوبات. يرشح بها الزهر والورق. فيجتمع ذلك كله وتدخره. وهو العسل. ويجتمع مع ذلك رطوبات دسمة، تتخذ منها بيوت العسل.

وهذه الدسومات هى الشمع. وهى تلقطها بخراطيمها، وتحملها على فخذيها، وتنقلها من فخذيها إلى صلبها.

قال الكواشى[5] فى تفسيره: «إن العسل ينزل من السماء، فينبت فى أماكن، فتأتى النحل فتشربه. ثم تأتى الخلية فتلقيه فى الشمع المهيأ للعسل ـ

---

(١) كذا بالأصل: وذكر صاحب المطبوعة أن (ذكروا) أنسب وكلا اللفظين جاء.

(٢) فى نسخة (الجود) وهو تحريف من الناسخ.

(٣) أرسطو: الفيلسوف المعروف.

(٤) كذا بالأصل، ولعل الأصوب كما ذكر محقق المطبوعة (العسل) لأن كلام أرسطو عن العسل لا عن النحل.

(٥) الكواشى: هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى، أبو العباس. وهو منسوب إلى كواشة (أو كواشى) وهى قلعة بالموصل. كف بصره بعد أن أناف على السبعين، وتوفى سنة ثمان وستين للهجرة.

انظر: ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (٧/٣٤٨) و والصفدى فى نكت الهميان (١١٦).

فى الخلية ـ لا كما يتوهم بعض الناس: أن العسل من فضلات الغذاء، وأنه قد استحال فى المعدة عسلاً».

ومن العسل جنس سُمِّىٌّ. من شمه ذهب عقله. فكيف من أكله؟.

وأجود العسل: الصادق الحلاوة. الطيب الرائحة. مع ميل إلى الحرافة، والحمرة، والمتانة. وأن يكون لزجًا لا يقطع، وأن يجنى فى الربيع، وأردؤه ما قطف فى الشتاء. وطبع عسل النحل حارٌّ يابس فى الثانية. فيه قوة جالبة، مفتحة لأفواه العروق، لجلبة الرطوبات من قعر البدن.

وهو يمنع العفونة والفساد من اللحم. وإذا لطخ به البدن، منع القمل، والصئبان وقتلها.

وإذا أضيف إليه الْقُسْطُ[1]، ولطخ على الكَلَف أزاله. وإذا عمل فيه ملح، ودهن على أثار الضربة، التى لونها كلون الباذنجان أزالها. وهو ينقى القروح الوسخة.

وإذا لطخ مع الشب أبرأ القوابى. وإذا خلط بالملح الأندرانى وقطر فى الأذن نقاها، وجفف قروحها، وقوى.

والاكتحال به يجلو ظلمة البصر، والتحنك، والغرغرة به يبرىء الخوانيق. واللوزتين.

والعسل يقوى المعدة، ويشهى الطعام، ويلين البطن، إن وجد حركة، وقلة استعداد من الغذاء للنفوذ. فإن تمكن من تنفيذ الغذاء عقل.

وإن شُرِبَ [العسل] سخنًا بدهن ورد: نفع من نهش الهوام، ومَنّ شرب الأفيون ولعقه، يعالج به عضة الكلب.

[والعسل] يحفظ الميت إذا وضع فيه دائمًا، ويحفظ اللحم ثلاثة أشهر، والفاكهة ستة أشهر. إذا وضعا فيه ـ انتهى ـ.

---

(١) القسط: العود الهندى.
قال رسول الله ﷺ: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط».

فصــل

وكفى للنحل شرفًا. تنويه الله تعالى بذكرها، فى محكم كتابه العزيز، حيث قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1] ﴿ وَأَوْحَىٰ ﴾ معناه: ألهم. أى خلق سبحانه وتعالى، فى أنفس النحل ابتداء من غير سبب ظاهر. قوة بها تدرك منافعها، وتجتنب مضارها، وتحسن تدبير معاشها.

لم يدر مخلوق ما تلك القوة. وإن شارك النحل فيها كثير من الحيوان فإن لها عليهم مزية اختصاص بأنه تعالى عبر عن إلهامها بالوحى تشريفًا لها، بخلاف غيرها. فإنه تعالى قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿٨﴾ ﴾[2]. وقال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[3]. فدخلت النحلة فى هذا العموم، وامتازت بأن صارت مما أوحى الله سبحانه وتعالى إليها، وأثنى عليها. فعلمت مساقط الأنوار من وراء البيداء[4]، فتقع هناك بروضة عبقة، وزهرة أنقة. ثم يصدر عنها ما تحفظه رضابًا، وتلفظه شرابًا.

وقال الزجاج: «سميت نحلاً لأن الله تعالى نَحَلَ الناس العسل الذى يخرج منها. إذ النِّحلة: العطية»[6].

---

(١) النحل: ٦٨.

(٢) الشمس: ٩١.

(٣) طه: ٥٠.

(٤) البيداء: الصحراء.

(٥) هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج. كان عالمًا بالنحو والأدب ولد ومات ببغداد تتلمذ على المبرد. توفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة للهجرة.

راجع معجم الأدباء (١/٤٧) وإنباه الرواه للقفطى (١/١٥٩) وتاريخ بغداد (٦/٨٩).

(٦) يقال نحل فلانٌ فلانًا كذا: أى أعطاه.

وذكر فى كتاب «عجائب المخلوقات»: «إن يوم عيد الفطر يقال له يوم الرحمة. إذ فيه أوحى ربك إلى النحل صنعه» [أى العسل].

وقد جعل الله تعالى بيوت النحل ثلاثة أنواع:

أما فى الجبال ولواها. وإما فى الخشب المنحوت من الشجر، أو المجوف منها.. وإما فيما يعرش الإنسان. أى يهيء من الخلايا ونحوها. لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1] فقرأ ابن عامر: ﴿يَعْرُشُونَ﴾ ـ بضم الراء ـ.

وقرأ الباقون ـ بكسرها ـ إلا عاصمًا فإنه اختلف عنه. فروى الوجهان جميعًا. وأصل العرش: السرير، المتخذ للملك. ثم استعير لغيره. فأطلق العرش على البيت، وجمعه: عروش. وَعَرْشُ البيت: سقفه. والعرش: الخيمة. والجمع: أعراش، وعُروش، وَعَرَشَ العَرْشَ يَعْرِشُهُ ـ بكسر الراء وضمها ـ عرشًا: عمله.. وَعَرْشُ الرجل: قوام أَمره. وثل عرشه: هدم ما هو عليه من قوام أمره.

والعرش المنزل. وجمعه: عُرُش. والعرش والعريش: ما يستظل به، وجمعه: عروش. وعَرَشَ البئر والركبة يعرشها عرشا: طواها من أسفلها بالحجارة. ثم طوى سائرها بالخشب. وجمعه: عروش.

وعَرْش الكَرْم ما دعم به من الخشب. يقال: عَرَشَ الكَرْمَ يعرشه عرشًا وعروشًا: عمل له عرشا.

فلا يوجد للنحل فى غير هذه الثلاثة. وأكثر بيوتها فى الجبال، ثم فى الأشجار، ثم فيما يعرش الناس. وهى أقل بيوتها.

وأباح تعالى للنحل أكل ما شاءت من الأشجار. بقوله عز من قائل: ﴿كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ فقوله: ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾

---

(١) النحل: ٦٨.

المراد: بعضها[1]. كقوله: ﴿وأُوتِيَتْ من كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]. يريد به البعض. والسبل: الطرق. واحدها: سبيل[3]. وأضافها سبحانه إليه. لأنه الذى خلقها.

وقد أذن للنحل فى سلوكها التى تدخل طرق ربها لطلب الرزق فى الجبال، وخلال الشجر. وذلل لها الطرق أى سهلها. تقول: «سبيل مذلل»[4] أى سهل سلوكه. وقد يكون ذللاً حالاً من النحل. أى تنقاد، وتذهب حيث شاء صاحبها. وذلك أنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، وتقف موقف يعسوبها، وتسير بمسيره.

و«ذللاً» جمع ذلول. وهو المنقاد أى المطيع. ثم عدد تعالى على خلقه ما أنعم به عليهم من العسل الذى يخرج من النحل. فإن فى خروجه منها عبرة. فقال سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعنى: العسل. فإنه من أفواه النحل، لدلالة القرآن على أنها ترعى الزهر. فيستحيل فى أجوافها عسلاً. ثم تلقيه من أفواهها فيجتمع فيه القناطير المقنطرة.

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه. أنه قال ـ وقد حقر الدنيا ـ: «أشرف لباسها لعاب دودة، وأشرف شرابها رجيع نحلة».

وفى رواية: «إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومركوب، ومنكوح، ومشموم».

فأشرف المطعوم: العسل. وهو مذقه ذباب.

---

(١) لأن الحمل على العموم لا مسوغ له إذ إنه يتعارض مع الأصول الطبية والعلمية وكل ما كان متعارضًا فى الظاهر كان لابد من تأويله وصرفه عن الظاهر.

وهذه الأمثلة المضروبة على كون العموم ليس منتهيًا إلى عمومه بل هو مصروف إلى الخصوص أورده الإمام الذهبى فى كتاب الطب النبوى فليراجعه ثَمَّ من أراد.

(٢) النمل: ٢٣.

انظر الطب النبوى للذهبى بتحقيق السيد الجميلى ص ١٠٦ وما بعدها.

وكذلك الطب النبوى لابن قيم الجوزية بتحقيق الجميلى أيضًا.

(٣) السبيل: الطريق، وهى مؤنثة على كل حال. أما الطريق فتذكر وتؤنث.

(٤) سبيل مذلل: ذلول لينة ليست وعرة.

وأشرف المشروب: الماء. ويستوى فيه البار والفاجر[1].

وأشرف الملبوس: الحرير. وهو نسج دودة.

وأشرف المركوب: الفرس. وعليها تقاتل الرجال.

وأشرف المشمومات: المسك. وهو دم حيوان.

وأشرف المنكوحات: فرج المرأة. وهو مبال.

فقال قوم: هذا يدل على خروج العسل من غير أفواه النحل.

وقال قوم: لا ندرى.. أيخرج من أفواهها أو من أسافلها. غير أنه لا يتم صلاحه إلا بحمى أنفاسها.

وقد صنع بعض قدماء الفلاسفة بيتا من زجاج، ليرى كيف تصنع النحلة العسل، وتضعه فى بيوته من الشمع، بعد ما أدخلها فى البيت، فلطخت النحلة باطن الزجاج بطين حتى لم يرها.

وقال تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا**﴾ لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلا فى البطن.

ثم عدد تعالى أنواع العسل الذى أنعم به على عباده. فقال: ﴿**مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**﴾ يعنى من الأحمر، والأبيض، والجامد، والسائل. ليتذكروا قدرته سبحانه على الإيجاد والاختراع.

فإن الأصل واحد، وما يكون عنه [مختلف] (كذا) بسبب وقوع تنوع غذائه. كما اختلف أيضًا طعمه بحسب مراعى النحل.

ثم وصف تعالى هذا الخارج من النحل بصفة شريفة. وهى الشفاء الذى أودعه فيه. فقال تعالى: ﴿ **فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾[2]. والجمهور على أن الضمير عائد على العسل.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «الناس شركاء فى ثلاثة: فى الكلأ والماء والنار».

(٢) النحل: ٦٨.

واحتج قوم ممن ذهب إلى ذلك. بأن سياق الكلام للعسل[1]. وبقوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[2] يريد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ وهو العسل.

وهذا تصريح منه عليه الصلاة والسلام بأن الضمير فى قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ يعود إلى الشراب الذى هو العسل. وهو الصحيح. وبه قال عبد الله بن مسعود[3]، وعبد الله بن عباس[4]، والحسن، وقتاده.

وروى عن مجاهد، والضحاك، والفراء، وابن كيسان: أن الضمير عائد على القرآن. أى: «فى القرآن شفاء للناس». وهو ضعيف. لمخالفته ظاهر القرآن، وصريح حديث المستشكى بطنه[5].

وقال النحاس: «أى فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاءٌ للناس».

وزعم بعض غلاة الشيعة: أن هذه الآية يرد بها آل البيت رضى الله عنهم، وأن الشراب القرآن والحكمة. والنحل المذكور فى الآية هم آل البيت. ورووا حديثًا: أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه: «أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار». وفى رواية: «المال يعسوب الظلمة». وفى رواية: «والمال يعسوب المنافقين».

ومعنى يعسوب المؤمنين. أى أنت كبير المؤمنين الذين يلوذون بك، وإليك ينقادون. والكفار والظلمة والمنافقون. إنما يلوذون بالمال، كما تلوذ النحل بيعسوبها. ولذلك قالوا: «أمير النحل على».

---

(١) انظر الطب النبوى للذهبى (ص ١٠٧).

(٢) أخرجه البخارى (١٠/ ١١٥) ومسلم فى صحيحه (٧/ ٢٦) عن أبى سعيد الخدرى. قال ابن كثير: «أى يصلح لكل من الأدواء الباردة، فإن حار الشىء يداوى بضده».أ. هـ بتصرف (٢/ ٥٧٥) ط. الحلبى.

(٣) هو عبد الله بن مسعود من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة. توفى سنة اثنتين وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين بالمدينة.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ توفى سنة ثمان وستين بالطائف. وهو أحد العبادلة من فقهاء الصحابة وسمى بالبحر والحبر.

(٥) هذا الكلام منقول بتصرف من الطب النبوى للذهبى، وهو متقدم على المؤلف ـ رحمه الله ـ.

وقد اختلف فى قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ هل هو على عمومه أم لا. فذهب قوم إلى أنه عام فى كل حال، ولكل أحد. فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: أنه كانوا لا يشكو قرحة، ولا شيئًا إلا جعل عليه عسلاً. حتى الدمل إذا خرج به. طلى عليه عسلاً.

وعن أبى وجرة عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى[1]: أنه كان يكتحل بالعسل، ويداوى به كل سقم.

ومرض عوف بن مالك هذا فقيل له: «ألا نعالجك؟».

فقال: إيتونى بماء. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ﴾[2].

ثم قال: ائتونى بعسل. فإن الله تعالى يقول: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾[3].

وائتونى بزيت. فإن الله تعالى يقول: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾[4].

فجاؤوه بذلك فخلطه، ثم شربه. فبرأ.

وقال أبو بكر بن أبى شيبة[5]: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن خيثمة، عن الأسود. قال: قال عبد الله: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل»[6].

وحدثنا وكيع عن سفيان عن أبى إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله: قال: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما فى الصدور».

---

(١) هو عوف بن مالك الأشجعى، صحابى مشهور، من مسلمة الفتح. سكن دمشق وتوفى بها سنة ثلاث وسبعين. أنظر تهذيب ابن حجر.

(٢) ق: ١٠.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) النور: ٣٥

(٥) هو أبو بكر بن أبى شيبة صاحب المصنف، كوفى الأصل، ثقة حافظ مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر التهذيب.

(٦) قال العلماء: وهذا جمع بين علاج الأبدان وعلاج الأرواح.

وذهب آخرون: إلى أنه ليس بعام فى كل علة، وكل إنسان. وإنما هو خبر بأنه يُشْفِى كما يشفى غيره من الأدوية بعض الأمراض - لا كلها - واحتجوا لذلك بأن «شفاء» نكرة فى سياق الإثبات، ولا عموم فيها باتفاق أهل العربية.

والتحقيق أن مَن قوى يقينه، وصدق عزمه، لثبات قدمه ورسوخها فى التصديق. فإنه يشتفى بالعسل، من جميع الأدواء. ويبرى به الله على يديه سائر الأمراض.

وأما من ضعف يقينه، وكان فى شك وتردد بين ما جاء به القرآن، وما ذكره الأطباء. فإنه موكول إلى ما تعلق به.

وقد اعتُرِضَ على من قال بعموم منافع العسل: أنه يضر بعض الناس، كمن عنده صفراء محرقة. فإنه إذا شرب العسل عظمت مضرته.

أجيب بأنه قد تقرر بأن ما من شىء - وإن جلت منفعته كالماء الذى منه حياة كل حيوان ونبات - إلا وفيه منفعة. فالحكم للغالب. فما غلبت منفعته مضرته، قيل فيه: نافع بإطلاق. وما غلبت مضرته على منفعته، قيل فيه: ضار بإطلاق.

ولا ريب عند الأطباء، وغيرهم فى عموم منفعة العسل، والتداوى به فى أكثر الأمراض ومدحه، لاسيما ما ركب منه كالسكنجبين[1] والمعاجين. فإن أصلها العسل.

ولا يغرنك ما ألفته من استعمال ما ذكرنا بالسكر دون العسل. فإنه أمر محدث، لا تكاد تجده فى كتب قدماء أطباء الإسلام، فضلاً عن أطباء اليونان، ومن قبلهم.

وأنت تعرف صحة ذلك إن كنت ممن تمهر فى الطب.

---

(١) وردت بالأصل والمطبوعة (السكنجين) وهذا تحريف خطير من الناسخ والصحيح ما أوردناه.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر من يشتكى بطنه بشرب العسل. فلما أخبره أخو المشتكى بأنه لم يزده إلا استطلاقًا. أمره ﷺ بمعاودة شربه. إلى أن قال ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[١].

قال يعقوب بن السكيت[٢]: يقال للرجل إذا أغريته بالشىء، وأمرته به: «كذب عليك كذا وكذا. أى عليك به»[٣].

قال عمر رضى الله عنه: «كذب عليكم الحج».

وقال ابن كيسان فى بيت عنترة [يخاطب زوجته]:

كذب العتيقُ وماءُ شنٍّ بارد   إن كنت سائلتى غبوقا فاذهبى

يُروى: كذب العتيق - بالرفع - وكذب عليكم أى وجب. وكَذِبَت على فلان الحجة أى قامت.

وكأن قول عنترة: وجب هذا للفرس، وليس لكِ شىء.

وقال ابن قتيبة فى قوله عليه الصلاة والسلام، لمن احتجم يوم الأحد والخميس «كذباك» أى عليك بهما.

قال خداش بن زهير:

كَذَبْتُ عليكم أوعدونى وعللوا   بى الأرض والأقوام قِردانَ موظبا

عللوا بى الأرض. أى تغنوا بهجائى فى سفركم.

وأنشد أيضًا لمعقِّر بن حمار:

وذبيانة أوصت بنيها   بأن كذب القواطف والقروفُ

والقواطف: القطف. والقروف: أوعية النحل فى قول ابن عبيد. وفى قول ابن قتيبة: أوعية الخلع من جلود، يجعل فيها لحم تنخلع منه العظام.

---

(١) تقدم هذا الحديث.

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن السكيت الإمام اللغوى الفذ صاحب كتاب «إصلاح المنطق» وكتاب «الألفاظ»..

(٣) انظر اللسان لابن منظور.

تقول امرأة لبنيها: أى اغتنموا القواطف، والقروف.

وفى قول ابن دريد: القروف: أوعية من أدم ينتبذ فيها. والقواطف عند الفراء هو جمع قطيفة.

وقال أبو عبيد فى قول عمر «كذب عليكم الحج» أى عليكم بالحج. . وجاء مرفوعًا. وأصله النصب. ولم يسمع فيه النصب إلا فى شىء حكاه أعرابى نظر إلى ناقة. فقال: «كَذَبَ عَلَيْكَ الْبَزْرَ وَالنَّوَى».

وقال ابن دريد: شكا عمرو بن معدى كرب(١) إلى عمر المَعَصَ. (وهو التواء العصب). من إدمان المشى.

فقال: «كَذَبَ عليك بالعسلُ» أى الشىء السريع. أى عليك به.

وقال ابن الأعرابى(٢): كان أصل «كذب عليكم الحج»: أن رجلاً قال: «لا أحج» فقال آخر: «كذب عليكم الحج» ثم استعمله العرب فى موضع وجب.

وأصل الكذب: الإمكان.

حكى عن هشام(٣) أنه قال: «كذبكم قتادة» أى أمكنكم فاحملوا عنه.

وقول الرجل: «كذبت» أى أمكنت من نفسك وضعفت.

وقولهم: صدقت. أى صلبت. والصدق الصلب.

(١) هو عمرو بن معدى كرب الزبيدى: فارس يمنى مشهور، بعيد الصيت صاحب غارات، أسلم فى وفد من بنى زبيد سنة تسع للهجرة لكنه ارتد بعد وفاة النبى ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام مرة أخرى. قيل: قتل عطشا يوم القادسية سنة إحدى وعشرين للهجرة. انظر البلاذرى (٣٢٨) والإصابة (٥٩٧٢).

(٢) هو محمد بن زياد، أبو عبدُ الله، الأعرابى نسابة، راوية ، علامة باللغة والأدب، كوفى الأصل. كان غزير العلم بالشعر توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

راجع تاريخ بغداد (٥/ ٢٨٢) وطبقات النحويين واللغويين (٢١٣).

(٣) كذا ورد بالأصل.

وروى الطبرانى: أن عليا وفاطمة رضى الله عنهما. سألا النبى ﷺ خادمًا. فقال لهما: «كذبتما، لا أترك هذه الصفة تنطوى بطونهم من الجوع وأعطيكما».

وقال فى قوله: «كذبتما» لغة العرب إذا أرادوا أن يقولوا للإنسان يسأل شيئًا «لا أفعل». قالوا: كذبت. ولا يريد بقوله هذا شتما. كقوله: «كذب بطنك» و «كذب عينك» لشيء ينكرونه أن يكون من القول ذلك له.

فاعترض بعض من فى قلبه شك: بأن الأطباء قد أجمعوا على أن العسل يُسهل. فكيف يوصف لمن به إسهال؟

وأجيب بالمنع: فقد نص علماء الطب. كمحمد بن زكريا الرازى[1]، والرئيس أبى على بن سينا[2]، ومن قبلهما جالينوس وأخرين: بأن العسل وإن يجذب الرطوبات من قعر البدن، ويلين الطبيعة. فإنه ربما عقل المبلغمين. وأنه إن تمكن من تنفيذ الغذاء عقل الطبيعة. وإن كان الاستعداد من الغذاء فى النفوذ قليلاً أطلق.

هذا هو التحقيق فى ذلك. فتبين أن العسل ليس بمسهل على كل حال، وأن حكاية الاجماع غير صحيحة. فمن الأطباء من منع ذلك سوى من ذكرنا.

وأجاب بعضهم بأن الإسهال المذكور كان عن امتلاء وهيضة، فناسبه شراب العسل. ليخرج ما هنالك منها؛ حتى يذهب الامتلاء.

وقد أغنانا الله ـ وله الحمد ـ بما أنزله فى كتابه، وما صح من حديث نبيه محمد ﷺ. عن قول الأطباء التى لا تكاد أدلتها تصح. إذ غايتها أن تكون إقناعية.

---

(١) هو الإمام العلامة المتقن الطبيب، الفيلسوف محمد بن زكريا الرازى أبو بكر صاحب الحاوى فى الطب وغيره من الكتب المشهورة التى تربو على اثنين وثلاثين ومائتى كتاب.
وقد توفى ببغداد سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة تقريبا.
انظر طبقات الأطباء (١/ ٣٠٩ ـ ٣٢١) والعبر للذهبى (٢/ ١٥٠).

(٢) هو الشيخ الرئيس ابن سينا: الحسين بن عبد الله، أبو على. الفيلسوف الطبيب المعروف صاحب الكتب الشهيرة والتصانيف الممتعة فى الطب والمنطق والإلهيات. توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة.

هذا لو كان قول الأطباء فيه ما يخالف ذلك. وأما ما كان موافقًا. فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وأودع سمعك فائدة جليلة. وهى أن الطب النبوى جميعه قسمان:

أحدهما: ما كان من عادة العرب التداوى به.

والثانى: ما جاء بوحى إلهى.

فالأول: قسم من أقسام الطب.

والثانى: لا يصح تأثيره إلا مع قوة إيمانية، ويقين صادق. وإلا فلا منفعة له. فإنه إذا اقترن به - ما شرطناه - لأنجح دواء، وأسرع شفاء. فطال ما استشفى وشفى أهل الله. وخاصة بآية من القرآن ولعقة من عسل. أدواء يعجز عنها حذاق الأطباء. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فصل

خرَّج أبو داود فى سننه، من حديث عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: الهدهد، والصُّرَد، والنملة، والنحلة[2].

وكَرَّه مجاهد قتل النحل. وقال فى «الإبانة»: «يكره قتلها».

وروى الحكيم أبو عبدالله محمد بن على الترمذى[3]. فى «كتاب نوادر الأصول»[4]. من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الزنابير كلها فى النار، يجعلها عذابًا لأهل النار إلا النحل»[5].

(١) النور: ٤٦.

(٢) سنن أبى داود (٥/٤١٨/٥٢٦٧).

(٣) هو الإمام العالم الصوفى المحقق أبو عبدالله محمد بن على الترمذى، وهو غير أبى عيسى الترمذى صاحب الجامع الصحيح أحد الكتب الستة.

(٤) وقد حققه الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح والسيد الجميلى.

(٥) لم نقف على صحة هذا الحديث.

وقال أبوعلى الموصلى: حدثنا شيبان بن فروخ[1]، حدثنا مسكين بن عبد العزيز[2] عن أبيه، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمر الذباب أربعون ليلة، والذباب كله فى النار إلا النحل».

وحدثنا الحسن بن عمر بن شقيق، حدثنا إسماعيل عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ. قال: «الذباب كله فى النار إلا النحل».

وكان مجاهد يكره قتل النحل. وخرَّجه أبو أحمد بن عدى فى: «كتاب الكامل» من حديث: عمرو بن نفيل، عن مجاهد، عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «الذباب كله فى النار إلا النحل».

وللبخارى من حديث عائشة رضى الله عنها. قالت: «كان النبى ﷺ يعجبه الحلوى والعسل».

وله من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما. قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «إن كان فى شىء من أدويتكم، أو يكون فى شىء من أدويتكم خير. ففى شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار، توافق الداء، وما أحب أن اكتوى».

وله[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما. أن النبى ﷺ قال: «الشفاء فى ثلاثة: فى شرطة محجم، أو شربة عسل، أوكية بنار. وأنا أنهى أمتى عن الكى»[4].

وخرجه مسلم من حديث جابر رضى الله عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن كان فى شىء من أدويتكم خير ففى شرطة محجم، أو

---

(١) هو شيبان بن فروخ بن أبى شيبة الحبطى، الأبلى، أبو محمد، صدوق يهم وقد رُمِىَ بالقدر، مات سنة ست أو خمس وثلاثين ومائتين، وله بضع وتسعون سنة. انظر تهذيب ابن حجر.

(٢) لعله مسكين بن بكير الحرانى.

(٣) أى وللبخارى.

(٤) ومن ثم فإن نهيه عن الكى ليس تحريمًا وإنما هو على سبيل الكراهة، فمن فعل ذلك لم يكن أثمًا.

شربة من عسل، أو لذعة من نار»[1]. . وقال رسول الله ﷺ: «وما أحب أن اكتوى»[2].

وللبخارى ومسلم، من حديث أبى سعيد الخدرى[3] رضى الله عنه. قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ. فقال: إن أخى قد استطلق بطنه. فقال رسول الله ﷺ: «اسقه عسلاً». فسقاه. ثم جاءه. فقال: إنى سقيته عسلاً، فلم يزده إلا استطلاقًا: فقال له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة. فقال عليه الصلاة والسلام: «اسقه عسلاً».

فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا. فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[4].

فسقاه فبرأ. اللفظ لمسلم. ولم يذكر البخارى قوله: «فقال له ثلاث مرات» إلى قوله: «استطلاقا». ولا ذكر قوله: «فسقاه فبرأ».

وفى لفظ لمسلم: أن رجلاً أتى النبى ﷺ. فقال: «إن أخى عَرِبَ بطنه». فقال: «اسقه عسلاً» الحديث[5].

وفى لفظ البخارى: أن رجلاً أتى النبى ﷺ. فقال: أخى يشتكى بطنه». فقال: «اسقه عسلاً». ثم أتاه الثانية. فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثالثة. فقال: «اسقه عسلاً».

ثم أتاه. فقال: «فعلت». فقال عليه الصلاة والسلام: «صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ.

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) أى إنه بمفهوم المخالفة يكون المعنى فمن أحب أن يكتوى، وعنده احتمال لذلك فلا بأس ولا مشاحة.

(٣) أبو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان الأنصارى، له ولأبيه صحبة وروى كثيرًا من الأحاديث. توفى بالمدينة سنة ثلاث ـ أو أربع ـ أو خمس وستين.

(٤ ، ٥) انظر الطب النبوى لابن قيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلى.

وخرج ابن ماجه[1] والحاكم[2]، من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما فى الصدور. فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل».

ولابن ماجه[3] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. أن النبى ﷺ قال: «من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء» انتهى.

فصل

روى الإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل[4]، رحمه الله تعالى، فى مسنده[5]. وأبو عيسى الترمذى[6] فى جامعه[7]، والحاكم أبو عبدالله[8] فى مستدركه. من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه. أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى سمع عنده دوى كدوى النحل. فأنزل عليه يومًا، فمكثنا ساعة ثم سرى عنه. فاستقبل القبلة، ورفع يديه. فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وأرض عنا»[9].

ثم قال: «أنزل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢**﴾ الآيات. وهو حديث صحيح الإسناد.

---

(١) سنن ابن ماجه (٣٤٩٥).

(٢) فى المستدرك.

(٣) سنن ابن ماجه (٣٤٥٠).

(٤) هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة المجتهدين صاحب المذهب الحنبلى.

(٥) المسند (١/ ٤٦٤، ٥/ ٣١٧، ٣١٨).

(٦) جامع الترمذى (٣١٧٣).

(٧) المستدرك للحاكم.

(٨) الحافظ.

(٩) وهذا من جوامع أدعيته ﷺ.

ولابن ماجة من حديث النعمان بن بشير[١]: أن النبى ﷺ قال: «إن مما تذكرون من جلال الله: التسبيح، والتهليل، والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دوى كدوى النحل، تذكر لصاحبها. أما يحب أحدكم أن يكون له، أولا يزال له من يذكر به»[٢]. صحيح على شرط مسلم.

وفى المستدرك عن أبى سبرة الهذلى. قال عبد الله بن عمرو. فحدثنى حديثًا عن النبى ﷺ فهمته وكتبته بيدى. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما حدث عبدالله بن عمرو عن محمد رسول الله ﷺ: «إن الله لا يحب الفاحش، ولا المتفحش، ولا سوء الجوار، ولا قطيعة رحم»[٣].

ثم قال: «إن مثل المؤمن كمثل النحلة، وقعت فأكلت طيبًا، ثم سقطت، ولم تفسد، ولم تكسر. ومثل المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر. إذا أدخلت النار، فنفخ عليها، فلم تتغير، ووزنت فلم تنقص».

قال: صحيح الإسناد.

وخرج الطبرانى فى الأوسط، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل بلال مثل النحلة، غدت تأكل من الحلو والمر، ثم هو حلو كله»[٤].

وروى الإمام أحمد، وابن أبى شيبة، والطبرانى. أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن كالنحلة تأكل طيبًا، وتضع طيبًا، وقعت فلم تكسر، ولم تفسد»[٥].

وروى البيهقى فى شعب الإيمان، من حديث مجاهد. قال: صاحبت عمر [رضى الله عنه] من مكة إلى المدينة. فما سمعته يحدث عن رسول الله

(١) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى له ولأبويه صحبة، ثم سكن الشام. ثم كان أميرًا على الكوفة وقتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة.

(٢) ابن ماجة فى السنن.

(٣) المستدرك للحاكم.

(٤) أى لا يصدر عنه إلا كل ما هو حلو، ولا يأتى من ناحيته قذى، ولا أذى أبدًا.

(٥) المسند للإمام أحمد (٢/ ١٩٩).

ﷺ إلا هذا الحديث: «إن مثل المؤمن كمثل النحلة. إن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه منافع، وكذلك النحل كل شأنها منافع»[١].

قال ابن الأثير: «وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة، حذق النحل وفطنته، وقلة أذاه، وخفارته[٢]، ومنفعته، وقنوعه، وسعيه، وتنزهه من الأقذار، وطيب أكله، وأنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله، وطاعته لأميره.

وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله. منها: الظلمة، والغيم، والريح، والدخان، والماء، والنار.

وكذلك المؤمن له آفات تفتره عن عمله. منها: ظلمة الغفلة، وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء السعة، ونار الهوى»[٣].

وفى مسند الطبرانى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه. أنه قال: «كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير. ما من شىء إلا وهو يستضعفها ولو تعلم الطير ما فى أجوافها من البركة ما فعلوا ذلك بها. خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم. فإن للمؤمن ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب»[٤].

وله عن ابن عباس رضى الله عنهما. أنه سأل كعب الأحبار[٥] (رضى الله عنه) كيف تجد نعت[٦] رسول الله ﷺ [فى التوراة]؟

---

(١) المسند (٢/١٩٩).

(٢) خفارته: وردت بالأصل بالحاء المهملة، والصحيح بالخاء المعجمة (الموحدة الفوقية).

(٣) هذا الكلام منقول بحرفه ولفظه من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى.

(٤) وهذا من مأثورات الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ انظر نهج البلاغة.

(٥) هو كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى، أبو إسحاق، تابعى، كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ثم أسلم فى زمن أبى بكر وكان عالمًا بالكتب المقدسة توفى سنة اثنتين وثلاثين عن مائة وأربع سنين. انظر النجوم الزاهرة (١/ ٩٠) وتذكرة الحفاظ (١/٤٩).

(٦) نعت: صفة.

فقال: نجده: محمد بن عبدالله، يولد بمكة، ويهاجر إلى طيبة[١]، ويكون ملكه بالشام، ليس بفاحش، ولا صخاب[٢] فى الأسواق، ولا يكافى بالسيئة السيئة. ولكن يعفو ويغفر. وأمته الحمادون يحمدون الله، فى كل سراء وضراء، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون فى أوساطهم، يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم. دويهم فى مساجدهم كدوى النحل، يسمع مناديهم فى جو السماء».

وقال بعض الحكماء لتلامذته: «كونوا كالنحل فى الخلايا».

قالوا: وكيف النحل فى الخلايا؟

قال: إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته. أى أبعدته وأقصته عن الخلية. لأنه يضيق المكان، ويضنى العامل، ويعلم النشيط الكسل.

وقال الشيخ أبو حامد الغزالى فى كتاب الإحياء[٣]: «انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها، حتى اتخذت من الجبال بيوتا، وكيف استخرجت من لعابها الشمع، والعسل.. وجعل أحدهما ضياء، والآخر شفاء.

ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار، والأنوار واحترازها من النجاسات، والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها. وهو أكبرها شخصا. وهو أميرها.

ثم ما سخر الله تعالى لأميرها من العدل، والإنصاف. حتى إنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة.

المعجب من ذلك العجب. إن كنت بصيرًا على نفسك، وفارغًا من هم بطنك وفرجك، وشهوات نفسك. فى معاداة أقرانك، وموالاة إخوانك.

ثم دع عنك جميع ذلك. وانظر إلى بنيانها من الشمع، واختيارها من جميع الأشكال. الشكل المسدس، فلا تبنى منها مستديرًا، ولا مربعًا، ولا

---

(١) طيبة: من أسماء المدينة.

(٢) صَخَّاب: ذو صَخَب وجلبة.

(٣) إحياء علوم الدين.

مخمسًا. بل مسدسًا. لخاصية فى الشكل المسدس، يقصر فهم المهندسين، عن درك ذلك.

وهو أن أوسع الأشكال وأحواها: المستدير، وما يقرب منه. فإن المربع تخرج منه زوايا ضائقة.

وشكل النحل مستدير، ومستطيل. فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة. ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائقة. فإن الأشكال المستديرة، إذا اجتمعت لم تجتمع إلا متراصة.

ولا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير، ثم تراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس. وهذه هى خاصية هذه الشكل.

فانظر كيف ألهم الله تعالى هذا النحل ـ على صغر جرمه ـ اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع، بحيث لا يزيد ضلع عن ضلع، ولا ينقص. لطفا منه، وعناية بوجود ما هو محتاج إليه. ليتهنى عيشه.

فسبحانه ما أعظم شأنه، وأوسع فضله وامتنانه».

وقال بعض الحكماء: «بيوت النحل من أعجب الأشياء. لأنها مبنية على الشكل الذى لا ينحرف. كأنه استنبط بقياس هندسى، ثم هو من دائرة مسدسة، لا يوجد فيها اختلاف. فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة.

وذلك أن الأشكال من الثلاثة إلى العشرة. إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل. وجاءت بينهما فروج إلا الشكل المسدس. فإنه إذا اجتمع إلى أمثاله. اتصل كأنه قطعة واحدة.

كل هذا بغير قياس، ولا آلة، ولا [فرجار][1]. بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير. وإلهامه إياها».

---

(١) وردت بالمخطوط (بركار) وهذا تحريف خطير من الناسخ.

وقال آخر: «جمع الله تعالى فى النحلة السم والعسل، ليكون دليلاً على كمال قدرته، وأخرج منها العسل ممزوجًا بالشمع. وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء».

وفى تاريخ أصفهان، فى ترجمة أحمد بن الحسن، عن عمر رضى الله عنه ـ برفعه ـ: «أول نعمة ترفع من الأرض العسل».

وقال فى المثل: «أنحل من نحلة، وأهدى من نملة»

ويقال: «كلام كالعسل، وفعل كالأسل»[1].. والله أعلم.

فصل

اختلف أهل العلم فى أكل النحل. فأباحه بعضهم كالجراد. والمذهب تحريم أكلها. وإن كان العسل الخارج منها حلالاً. كالأدمية. لبنها حلال ولحمها حرام.. ولأن النبى ﷺ نهى عن قتلها.

وقد اختلف أيضًا فى بيعها. فقال أصحابنا: بيع النحل وهو فى الكورة صحيح إن رؤى جميعه.. وإلا فهو بيع غائب.

فإن باعها وهى طائرة. فقال فى «التتمة»: يصح.. وفى التهذيب عكسه.

وصورة المسألة: أن تكون الأم فى الكورة. كما قال ابن الرفعة والأصح من الوجهين الصحة.

والفرق بينها وبين باقى الطير من وجهين:

أحدهما: أنها لا تقصد بالجو المرح بخلاف غيرها.

والثانى: أنها لا تأكل فى الغالب والعادة إلا مما ترعاه.

فلو توقف فى صحة البيع على رؤيتها لربما أضر بها، أو تعذر بسببه

---

(١) الأسل: الشوك الطويل من شوك الشجر. وتسمى الرماح به أيضًا أسلاً.

بيعها. . بخلاف غيرها من الطيور.

وذهب أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنه لا يصح بيعها كالزنابير، وسائر الحشرات.

واحتج أصحابنا بأنه حيوان طائر، ينتفع به. فجاز بيعه كالشاة، بخلاف الزنبور، والحشرات. فإنها لا منفعة فيها.

واختلف أيضًا فى زكاة العسل. فروى أبو عيسى الترمذى من حديث صدقة بن عبدالله بن موسى بن يسار، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «فى العسل فى كل عشرة آلاف زق زق».

وقال أبو عيسى فى إسناده مقال.

ولا يصح عن النبى ﷺ فى هذا الباب كبير شىء. . والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم. وبه يقول أحمد وإسحاق[١].

وقال بعض أهل العلم: «ليس فى العسل شىء. . وصدقة بن عبدالله ليس بالحافظ، وقد خولف فى روايته هذا الحديث».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «صدقه ليس يساوى حديثه شيئًا».

وقال ابن حبان: «يروى الموضوعات عن الثقات».

وقال النسائى: «صدقة ليس بشىء وهذا حديث منكر».

ولذلك لم ير مالك والشافعى فى العسل زكاة. وبه قال داود، ومن قبله سفيان الثورى[٢]. والحسن بن حى. وروى عن على وابن عمر رضى الله عنهما.

وذهب الشافعى[٣] فى التقديم إلى القول بزكاة العسل.

---

(١) هو إسحاق بن راهويه المروزى. ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل مات سنة ثمان وثلاثين.

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، أبو عبدالله الكوفى، ثقة حافظ فقيه عابد، إمام حجة، مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة. انظر تهذيب ابن حجر.

(٣) هو الإمام الشافعى صاحب المذهب المعروف، وهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين.

وقال أبو حنيفة[1]: «إن كان النحل فى أرض العشر ففيه الزكاة. وهو عشر ما أصاب منه ـ قل أو كثر ـ.

وإن كان النحل فى أرض خراج فلا زكاة فيه ـ كثر أو قل ـ.

وإن كان فى المفاوز والجبال، وعلى الأشجار، وفى الكهوف، فلا شىء فيه. وهو بمنزلة الثمار. تكون فى الجبال والأودية، لا خراج عليها ولا عشر».

وقال أبو يوسف[2]: «إذا بلغ العسل عشرة أرطال ففيه رطل واحد. وهكذا ما زاد ففيه العشر ـ والرطل هو الفلفلى».

وقال محمد بن الحسن: «إذا بلغ العسل خمسة أفراق. ففيه العشر. وإلا فلا».

والفرق ستة وثلاثون رطلاً فلفلية. والخمسة أفراق مائة وثمانون رطلاً فلفلية.

وقال أحمد: بوجوب الزكاة فى العسل.

واحتج أصحاب أبى حنيفة لقولهم. بما روى عن عطاء الخراسانى. أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأهل اليمن فى العسل: «إن عليكم فى كل عشرة أفراق فَرْقًا». وَرَدُّ ذلك بأن عطاء لم يدرك عمر.

وقد روى: أن عاملاً لعمر رضى الله عنه على الطائف كتب إليه: «أن رجالاً من «فَهْم» كلمونى فى خلاياهم. أسلموا عليها، وسألونى أن أحميها لهم».

فكتب إليه عمر: «إنما هو ذباب غيث، فإن أدوا زكاته فاحمه لهم».

وقوله: «إنما هو ذباب غيث» أى يكون مع الغيث. يريد أنها تعيش بالمطر. لأنها تأكل ما ينبت عنه.

---

(١) هو الأمام أبو حنيفة صاحب المذهب الحنفى المعروف أيضًا وأحد الأئمة الأربعة صاحب مدرسة الرأى فى الفقه الإسلامى.

(٢) هو يعقوب بن سفيان الفارسى، أبو يوسف الفسوى. ثقة حافظ توفى سنة سبع وسبعين ومائتين.

فإذا لم يكن غيث لم يكن لها ما تأكل.

فشبهها بالراعى والسائمة من النعم. إذا لم يكن على صاحبها منها مؤونة وجب فيها الزكاة.

وقال ابن قتيبة فى كتاب «الغريب» وهذا الحديث خرَّجه أبو داود، ومن حديث عمر بن شعيب(١) عن أبيه، عن جده. قال: «جاء هلال أحد بنى متعان. إلى رسول الله ﷺ، بعشور نحل له. وسأله أن يحمى له واديًا يقال له: «سلبة». فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادى.

فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ كتب سفيان بن وهب(٢) إلى عمر يسأله عن ذلك. فكتب إليه عمر: «أن أدى إليك ما كان يؤدى إلى رسول الله ﷺ، من عشور نحله. فاحم له «سلبة» وإلا فإنما هو ذباب غيث يأكله من شاء».

واحتجوا بحديث الحارث بن عبد الرحمن بن سعد بن [أبى](٣) ذباب، عن منير بن عبدالله، عن أبيه، عن سعد بن أبى ذباب رضى الله عنه، وكانت له صحبة: أنه أخذ عشر العسل من قومه. فأتى به عمر رضى الله عنه فجعله عمر فى صدقات المسلمين.

قال: وقدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت وبايعته فاستعملنى على قومى، واستعملنى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ثم استعملنى عمر رضى الله عنه، من بعده.. فذكر الخبر. وفيه: قلت لعمر: يا أمير المؤمنين: ما ترى فى العسل؟

---

(١) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص. صدوق. مات سنة ثمانى عشرة ومائة. قيل: إن أصح الأسانيد هى: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) هو سفيان بن وهب الخولانى، أبو اليمن، صحابى جليل من الأمراء. غزا إفريقيا سنة ستين وتوفى فيها سنة اثنتين وثمانين. انظر الإصابة رقم (٣٣٢٥).

(٣) هو الحارث بن عبد الرحمن بن سعد بن أبى ذباب. وقد سقطت (أبى) من الأصل ومن المطبوعة والتصويب من تهذيب التهذيب لابن حجر. وهو صدوق ربما وهم، مات سنة ست وأربعين.

قال: «خذ منه العشر» وقال: «ضعه فى بيت المال».

وفى رواية: فقلت لقومى: «فى العسل زكاة. فإنه لا خير فى مالٍ لا يزكى».

فقالوا: كم ترى؟ فقلت: العشر.

فأخذته. وأتيت به إلى عمر رضى الله عنه.

وَرَدُّ هذا أيضًا: بأن منير بن عبدالله مجهول، وأبوه مجهول.

وقد قال فيه: بعض رواته عتيق بن عبدالله، ولا يدرى من هو.

واحتجوا بما روى عن نعيم بن حماد، عن بقية، عن محمد بن الوليد الزبيدى، عن عمرو بن شعيب، عن هلال بن مرة: أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال فى عشر العسل: «ما كان منه فى السهل ففيه العشر، وما كان منه فى الجبل ففيه نصف العشر».

وَرُدَّ بأن بقية ضعيف، وهلال بن مرة لا يدرى من هو.

وصح عن مكحول، ومحمد بن شهاب الزهرى: «أن فى كل عشرة أزقاق زقا».

وعن الأحوص بن حكيم[1]، عن أبيه. أنه قال: «فى كل عشر أرطال رطل».

وعن سعيد بن عبد العزيز[2]، عن سليمان بن موسى: «فى كل عشرة أزقاق زق». والزق يسع رطلين.

---

(١) هو الأحوص بن حكيم بن عمير العنسى، بالنون، أو الهمدانى الحمصى كان عابدًا، إلا أنه كان ضعيف الحفظ. انظر التهذيب.

(٢) هو سعيد بن عبد العزيز التنوخى، الدمشقى. ثقة إمام وقد سوَّاه أحمد بالأوزاعى. لكنه اختلط أخر عمره، مات سنة سبع وستين، وقيل بعدها وله بضع وسبعون سنة.

وروى عن عمر بن عبد العزيز زكاة العسل. ولا يصح عنه.

واحتج من رأى زكاة العسل بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال: «جاء هلال إلى رسول الله ﷺ، ومعه عشور نحل له. وسأله أن يحمى واديًا. يقال له «سلب» فحماه له».

وبحديث عمرو بن شعيب. قال: «كتب بعض أمراء الطائف إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: «أن أصحاب النحل لا يؤدون إلينا ما كانوا يؤدون إلى النبى ﷺ. ويسألون مع ذلك أن نحمى لهم أوديتهم. فاكتب إلىَّ برأيك فى ذلك».

فكتب إليه عمر: «إن أدوا إليك ما كانوا يؤدون إلى النبى ﷺ. فاحم لهم أوديتهم. وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إليه فلا تحم لهم».

قال: «وكانوا يؤدون إلى النبى ﷺ عن كل عشرة قرب قربة».

وعن عمرو بن شعيب أن عمر رضى الله عنه. كتب: «فى العسل عن كل عشرة قرب قربة».

وردَّ بأن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده ضعيف لا يصح.

واحتجوا بحديث عبدالله بن أبى محرز، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه. أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن: «أن يؤخذ من العسل العشر».

وردَّ بأن عبدالله بن محرز ساقط. متفق على إطراحه.

واحتجوا بحديث سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى[1]. أن أباسيار النسعى. قال للنبى ﷺ: «إن لى نحلاً». فقال له: «فأدِّ منه العشر».

---

(١) هو سليمان بن موسى الأموى مولاهم الدمشقى، الأشدق، صدوق فقيه ربما كان فى حديثه بعض اللين. وقد خولط قبيل موته.

ورد بأنه حديث منقطع. لأن سليمان بن موسى لا يعرف له لقاء أحد من الصحابة. رضى الله عنهم أجمعين.

واحتجوا بحديث ابن جريج[(١)]. قال: كتبت إلى إبراهيم بن سمرة أسأله عن زكاة العسل. فذكر جوابه.

وفيه أنه قال: «ذكر لى من لا أتهم من أهلى. أن عروة بن محمد السعدى. قال له إنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن صدقة العسل. فرد إليه عمر: قد وجدنا بيان صدقة العسل بأرض الطائف فخذ منه العشور».

وردَّ بأن حديث ابن جريج منقطع. فإنه على من لم يسمٍّ.

وعورض قولهم بما رواه أبو بكر بن أبى شيبة. حدثنا وكيع عن سفيان، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس. أن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما أتى اليمن أتى بالعسل، وأوقاص الغنم.

فقال: لم أومر فيها بشىء.

وبحديث وكيع عن سفيان الثورى، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع. قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على اليمن، فأردت أن أخذ من العسل العشر.

فقال المغيرة بن الحكم الصنعانى «ليس فيه شىء».

فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز[(٢)]: صَدَقَ هو عدل رضى[(٣)].

---

(١) هو ابن جريج الفقيه: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى مولاهم، المكى، ثقة فقيه فاضل، اشتهر بالتدليس والإرسال. مات سنة خمسين ومائة، وقيل بعدها، وكان قد تعدى السبعين وقيل: بل جاوز المائة.

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى، أمير المؤمنين المشهور بالعدل، وعدوه خامس الخلفاء الراشدين. مات فى شهر رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة. ومدة خلافته كانت سنتين ونصف.

(٣) رضى: أى مرضى.

فصل

كان سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس[١] بن عبد مناف. يقال له: عكة العسل. وكان غير طويل.

وكان يقال لمصعب بن الزبير: آنية النحل. من كرمه.

وحكى أن عبد المؤمن بن على القيسى الكومى، القائم بدولة الموحدين، أتباع أبى عبدالله محمد بن تومرت. ببلاد المغرب. نام ذات يوم بالنهار. وهو صبى. تجاه أبيه. وأبوه قائم يعمل آنية الفخار. فسمع أبوه دويًا فى السماء. فرفع رأسه. فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت على الدار. فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن. وهو نائم فغطته فصاحت أمه: فسكتها أبوه.

فقالت: أخاف عليه.

فقال: لا بأس عليه. وأنى لمتعجب مما يدل عليه ذلك.

ثم إنه غسل يديه، ولبس ثيابه، ووقف ينظر ما يكون من أمر النحل.

فطار عنه بأجمعه، واستيقظ الصبى، وما به من ألم. فتفقدت أمه جسده. فلم تر به أثرًا، ولم يشك إليها ألمًا.

وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر.

فمضى أبو عبد المؤمن وأخبره بما رآه من النحل مع ولده.

فقال: يوشك أن يكون له شأن. ويجتمع على طاعته أهل المغرب.

فكان من أمر عبد المؤمن ما هو معروف.

ويقال أول من أوقد الشمع، واستصبح به: جذيمة الأبرش. وهو أيضًا أول من نصب المجانيق فى الحرب.

---

(١) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، قتل أبوه يوم بدر، كان صحابيًا على الرغم أن عمره عند وفاة النبى ﷺ كان تسع سنين، مات سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك.

وأول من أتخذ الشمع الغلاظ التى فيها الأمنان: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

ثم صالح بن على بن عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بمصر.

وإنما كانت لبنى أمية، ومن قبلهم من الملوك بالشام سوى الوليد. شمع فى الشمعة منها الرطل، والثلاثة الأرطال. وكانت لها أنوار صغار فى التور. منها شوكة تكون الشمعة فيها أو مسرجة عليها شوكة.

وكتب أبو بكر بن عمر، وابن حزم إلى عمر بن عبد العزيز. وهو عامله، على المدينة: «إن من قبلى من الأمراء كان يجرى عليهم رزق الشمع».

فكتب إليه: «إنك طال ما مشيت فى طرق المدينة بلا شمع يُمشى به بين يديك. فاعرض عن هذا، ولا تعاودنى فيه».

وكانت ملوك بنى أمية تستصبح بالزيت فى القناديل، ويمشى بين أيديهم بالشمع الطوال. الذى طول الواحدة منها ثلاثة أشبار.

وكان مَنْ دونهم يستعملون من الشمع القناديل المثنى بعضها على بعض.

فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك[1]. اتخذ له من الشمع الطوال ما فيه ستة أرطال، وأكثر من ذلك.

ثم أسرف الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فى استعماله الشمع فى مجالسه.

ولم يكن أبو جعفر المنصور يستصبح إلا بالزيت فى القناديل. وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحَمل سراجًا بين يديه.

ثم إنه حمل بين يديه ما فيه الرطل، والمنُّ من الشمع. وكان إذا أراد قراءة الكتب وكتابتها أحضر معه شمعة فى تور. ثم ترفع إذا فرغ.

---

(١) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. مات فى (الإربد) من بلاد الأردن أو بالجولان، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق فدفن فيها سنة خمس ومائة.

ولما زفت بوران بنت الحسن بن سهل[1] على الخليفة المأمون عبدالله بن هارون الرشيد أوقد على المأمون فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون منًا.

وكان ثمن الشمع فى أيام المتوكل جعفر بن محمد المعتصم فى كل سنة ألف ألف ومائتى ألف درهم.

وحكى الصابى عن بعض الرسل. قال: «ذهبنا إلى باب مسعود. يعنى محمود بن سبكتكين[2] بغزنة. فشاهدنا بالباب أصناف العساكر، وملوك جرجان، وطبرستان، وخراسان، والهند، والسند، والترك. وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرة، والعماريات الملبسة بالذهب، المرصعة بأنواع الجواهر.

وإذا بأربعة آلاف غلام مردوفون سماطين. وفى أوساطهم مناطق الذهب وبأيديهم أعمدة الذهب.

ومسعود جالس على سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله، وعليه الفرش الفاخرة، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت.

وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة. ثم قام مسعود إلى سماط من فضة، عليه خمسون خوانًا من الذهب، على كل خوان خمسة أطباق من ذهب. فيها أنواع الأشربة، فسقاهم الغلمان.

ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار، فيه ألف دست من الذهب، وأطباق كبار حسن، وأنية فيها الكيزان.

وعلى كل طبق زرافة ذهب، وأطباق ذهب. عليها المسك، والعنبر، والكافور، وأشجار الذهب مرصعة بالذهب واليواقيت، وشموع فى رأس كل

---

(١) هو الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسى أبو محمد، وزير المأمون العباسى، وأحد كبار القادة والولاة فى عصره. توفى فى سرخس من بلاد خراسان سنة ست وثلاثين ومائتين.
راجع تاريخ بغداد (٧/ ٣١٩) وتاريخ ابن الوردى (١/ ٢١٧).

(٢) هو محمود بن سُبُكتكين الغزنوى السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبى المنصور فاتح الهند. أحد كبار القادة. مات سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.
راجع ابن الأثير (٩/ ١٣٩) ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٨٤). وفيه أن وفاته سنة إحدى وقيل: اثنتين وعشرين وأربعمائة.

شمعة قطعة من الياقوت الأحمر، تلمع لمعان النار، وأشجار العود قائمة بين ذلك.

وفى جوانب المجلس بحيرة فى جوانبها من الجواهر، والعنبر، والفصوص، واللؤلؤ. شجر يقصر الوصف عنه.

وذكر - أى الصابى - أشياء آخر.

ولما زفت قطر الندى بنت الأمير أبى الجيش خمارويه بن أحمد[1] بن طولون على الخليفة المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد طلحة ابن المتوكل.

وقد حملها إليه أبوها من مصر إلى بغداد، بجهاز جليل القدر إلى الغاية. قال المعتضد: «أكرموها بشمع العنبر» فوجد فى خزائنه أربع شمعات من عنبر، فى أربعة أتوار فضة.

فلما كان وقت العشاء. جاءت قطر الندى إليه، وقدامها أربعمائة وصيفة، فى يد كل وصيفة منهن تور ذهب أو فضة، وفيه شمعة عنبر.

فقال المعتضد: «اطفئوا شمعنا واسترونا».

ولما ماتت عبدة ورشيدة ابنتا المعز لدين الله، أبى تميم معد بن المنصور أبى الطاهر إسماعيل الفاطمى. ختم على مقاصير كل واحدة منهما، وعلى صناديقهما وما يجب أن يختم عليه من وجودهما بأربعين رطلاً من الشمع. وكَتِبَ موجود عبدة فى ثلاثين رزمة ورق.

وكان راتب محمد بن بقية - وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد ابن بويه - من الشمع فى كل شهر ألفى مَنّ، ومن الثلج فى كل يوم ألف رطل.

---

(١) هو خمارويه بن أحمد بن طولون، أبو الجيش، من ملوك الدولة الطولونية بمصر، وليها بعد وفاة أبيه سنة سبعين ومائتين وله عشرون عامًا، وفى أواخر أيامه تزوج المعتضد العباسى ابنته (قطر الندى) ولد فى سامراء، وقتله غلمانه على فراشه فى دمشق وحمل جثمانه إلى مصر وكان ذلك سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

انظر وفيات الأعيان (١/ ١٧٤).

وفى سنة [اثنتين][1] وثمانين وستمائة، قدم عبد الرحمن الشيرازى. والأمير صمداغو الططرى، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التيتى برسالة الملك أحمد أغاسلطان هولاكو إلى البيرة، وعلى رأس الشيخ عبد الرحمن الجِتْر - كما هى عادته فى بلاد التتر.

فخرج إلى لقائهم من أمراء حلب الأمير جمال الدين آقوش الفارسى، ومنع عبد الرحمن من حمل الجِتْر على رأسه، ومن حمل السلاح أيضًا.

وعدل بهم من الطريق فى مسيرهم حتى قدموا دمشق. فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، من غير أن يراهم أحد فى مسيرهم، ولا وقت قدومهم.

ولما نزلوا بقاعة رضوان من القلعة. أجرى لهم فى كل يوم ألف درهم سوى الحلوى والفاكهة، وغير ذلك من أنواع المأكل.. وهى ألف درهم أخرى.

فقدم الخبر بقتل أحمد أغا، وتملك أرغون بن أبغا بن هولاكو بعده. فسار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى من قلعة الجبل، بديار مصر إلى دمشق.

فقدمها يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ونزل بقلعتها، وألبس فى تلك الليلة ألفا وخمسمائة مملوك أقبية من حرير أطلس أحمر بطرز.

وعلى رؤوسهم كلفتات زركس، وبأوساطهم حوائص ذهب. وأشعل بين يديه ألفًا وخمسمائة شمعة موكبية كبيرة. بيد كل منهم شمعة.

واستدعى عبد الرحمن ورفقته، وأدوا رسالة أحمد أغا، وعادوا إلى موضعهم.

---

(١) فى الأصل المخطوط والمطبوعة (اثنين) وهو خطأ نحوى من الناسخ، ونقله محقق المطبوعة كما هو دون تصويب.

ثم استدعى ـ السلطان ـ كلا منهم ثانيا، وردهم إلى مكانهم، وأحضرهم مرة ثالثة، وسألهم عن أشياء.

فلما علم ما عندهم أخبرهم بقتل من أرسلهم، وقيام أرغون من بعده. وأعادهم إلى قاعة رضوان، ثم نقلهم منها، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية، وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا.. فأنكروا أن يكون معهم مال.

فتوجه إليهم شمس الدين سنقر الأعسر الاستادار. وقال: «قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان. فليجمع كل أحد قماشه.

فقاموا يحملون أمتعتهم، وخرجوا. فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه. منها سبحة كانت للشيخ عبد الرحمن قوِّمت بمائة ألف درهم، واعتقلوا حتى مات عبد الرحمن فى ثامن عشر شهر رمضان بالسجن، وضيق على البقية، ثم أطلقوا.. ما خلا الأمير شمس الدين محمد بن التيتى. فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر.

وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة ركب السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون[1] من قلعة الجبل إلى دمشق. ثم خرج فى ليلة الثلاثاء تاسع شوال. بعد ما رسم لجميع أهل الأسواق. أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موكبية قد اشتعلت، فامتثلوا لذلك. ووقفوا من باب النصر إلى مسجد القدم.

فعندما ركب لركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة. فسار بينها حتى نزل مخيمه. فكانت من الليالى المذكورة، والوقودات المشهورة. وفى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان سنة [اثنتين][2] وثلاثين وسبعمائة كان

(١) هو خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدى، صلاح الدين، أديب مؤرخ، كثير التأليف غزير التصانيف، ولد فى صفد بفلسطين توفى سنة أربع وستين وسبعمائة بدمشق.
انظر آداب اللغة (٣/ ١٦١) والدرر الكامنة (٢/ ٨٧).

(٢) تكرر الخطأ نفسه فى المخطوطة ونقلها محقق المطبوعة دون تصحيح والصواب ما أثبتناه، وهذا الخطأ النحوى الفاحش هو تحريف من الناسخ.

زفاف ابنة الأمير سيف الدين تَنْكِزْ نائب الشام على الأمير آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]. بعد ما أقام المهم سبعة أيام بلياليها. وحضر نساء الأمراء بأجمعهن.

وجلس السلطان فى ليلة السابع على باب القصر من قلعة الجبل. وتقدم الأمراء على مراتبهم واحدًا بعد واحد. لعرض شموعهم التى يقدمونها.

فكان الأمير منهم يقبل الأرض ويتأخر فيقدم شموعه. حتى انتهوا. فكانت ثلاثة آلاف قنطار وستون قنطارًا.

وفى تلك الشموع ما اعتنى به، ونقش نقشًا بديعًا، تَنَوَّعَ صناعه فى تحسينه، وبالغوا فى التأنق فيه.

ثم جلس السلطان ليلة العرس وأشعلت [الشموع] بأسرها بين يديه. وقد أجلس ابنه آنوك تجاهه.

فأقبل الأمراء. وكل أمير يحمل بنفسه شمعة، ومن خلفه مماليك يحملون بقية شمعه. ويتقدم واحد بعد واحد - على قدر رتبته - وهو يقبل الأرض.

فما تم مرور آخرهم حتى مضى معظم الليل. فنهض السلطان، وعبر إلى حيث مجتمع النساء. فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبلن الأرض واحدة بعد واحدة، وقدمن ما آتين به من التحف الفاخرة، والنقوط.

حتى انتهين. ثم قمن يرقصن عن أخرهن واحدة بعد أخرى، والمغانى تزفهن.

وأنواع المال من الذهب والفضة، وشقاق الحرير تلقى على المغنيات فحصل لهن من ذلك ما يجل وصفه.

ثم جلس السلطان من الغد، وخلع على جميع الأمراء، وبعث إلى نسائهم، كل واحدة بتعبية قماش، على مقدار زوجها.

---

(١) هو الملك الناصر: محمد بن قلاوون من كبار ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. توفى فى القاهرة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة.
راجع ابن الوردى (٢/ ٣٣٠)، ووفيات الأعيان (٢/٢٦٣) والدرر الكامنة (٤/ ١٤٤).

فكان هذا العرس من الأعراس العظيمة. ذبح فيه من الخيل، والبقر، والغنم، والأوز، والدجاج. ما يزيد عن عشرين ألف حيوان. وعمل فيه من السكر، بقصد الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار. وكانت شورة العروس التى حملها أبوها تنكز معها ألف ألف دينار مصرية.

وذكر القاضى شهاب الدين أحمد بن القاضى محى الدين يحيى بن فضل الله العمرى. فى كتاب «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» عند ذكر مدينة «ذِلة» من بلاد الهند. مانصه: «وأما العسل فأكثر من الكثير. وأما الشمع فلا يوجد إلا فى دور السلطان. ولا يسمح فيه لأحد». والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

* * *

ومن جيد ما قيل فى الشمعة، قول الموفق أبى الحجاج يوسف بن محمد ابن الخلال[١]. صاحب ديوان الإنشاء بمصر:

وصحيحة بيضاء تَطلعُ فى [الدجى][٢]
صبحا، وتَشْفِى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها
واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها
وسوادها وبياضها وضيائها

ولما نزل أبو على الأعصم بن أبى منصور أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى إلى الرملة. وقد قدم من الأحساء لحرب جوهر القائد لسنة ستين وثلاثمائة. أحضر إليه الفراشون فى بعض الليالى الشموع على العادة.

---

(١) هوالموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال الشاعر المعروف كان صاحب ديوان الإنشاء بمصر.
(٢) فى الأصل (الدنيا) وهذا يسبب كسراً للبيت والصواب كما أثبتنا والأبيات من بحر الكامل.

فقال لكاتبه أبى نصر بن كشاجم[1]: «ما يحضرك فى هذه الشموع؟».

فقال: «إنما نحضر مجلس السيد لنسمع من كلامه، ونستفيد من أدبه»

فقال الحسن بن أحمد بديها[2]:

ومجدولة مثـل صدر القنا ... تعـرت وبـاطنـها متكسـى

لها مقـلة هـى روح لـها ... وتـاج علـى هيئـة البرنـس[3]

إذا غازلتها الصَّبَا حـركت ... لسانًا مـن الذهـب الأملـس[4]

وإن رُقِّقَتْ لنعـاسٍ عَـرًا ... وقطت من الرأس لم تنعس

وتنتج فى وقت تلقيحها ... ضياء يجلى دجـى الحنـدس[5]

فنحن [من] النور فى أسْعُدٍ ... وتلك من النار فـى أنحـس[6]

فقام أبو نصر، وقبل الأرض، واستأذن فى إجازتها، فإذن له. فقال:

وليـلتنـا هـــذه ليـلـةٌ ... تشـاكل أشـكـال إقليـدس[7]

فياربة العود حُثِى الغناء ... ويا حامل الكأس لا تحبس[8]

فخلع عليه، وعلى جميع من حضر مجلسه، وحمل إليه حلة سنية. ولله در الأديب مظفر بن محاسن الدلال. أحد شعراء دمشق فى الأيام الناصرية يوسف بن غازى صاحب حلب. حيث يقول:

---

(١) هو محمود بن كُشَاجِم: محمود بن الحسين بن السندى بن شاهك، أبو الفتح الرملى. كان شاعرًا متقنًا جيد الشعر، من أهل الرملة بفلسطين، من كتاب الإنشاء، أصله من فارس توفى سنة ستين وثلاثمائة.
راجع حسن المحاضرة للسيوطى (١/ ٣٢٢) وفيه سماه: «محمود بن محمد بن الحسين».
وانظر شذرات الذهب (٣/ ٣٧).

(٢) أى من فوره من فيض الخاطر مرتجلا.

(٣) البرنس: قلنسوة طويلة.

(٤) أى ريح الصَّبا.

(٥) الحندس: الظلمة، وتجمع على حنادس.

(٦) فى المخطوطة (فى) والصواب (من) حتى يستقيم الوزن. والأبيات من بحر المتقارب.

(٧) تشاكل: تشابه وتماثل.

(٨) لا تحبس: أى لا تمتنع عن السقى.

كن محسنًا مهما استطعت فهذه الد
نيا وإن طالت قصير عمرها[1]
إن المآثر فى الورى [لذريعة][2]
يفنى مؤثرها، ويبقى ذكرها
فترى الكريم كشمعة من عنبر
ضاءت. فإن طفيت تَضَوَّع[3] نَشْرُها[4]

وما أحسن قول أبى الحسين عمر بن يعقوب الأنبارى[5] - أحد عدول بغداد - وقد رثى الوزير محمد بن محمد بن بقية. الملقب نصر الدولة. وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه. لما قتله عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبى الحسن بن بويه، وصلبه:

عُـلُـوٌّ فى الحياة، وفى الممات إلخ

التى لم يُقَل فى مصلوب مثلها. . فلم يزل عضد الدولة يطلبه مدة سنة حتى أتاه بأمان. فقال له: «ما حملك على مرثية عدوى؟».

فقال: «حقوقٌ وجبت، وأياد[6] سلفت. فجاش الحزن فى قلبى فرثيت».

وكان بين يدى عضد الدولة شموع تَزْهر. فقال: «هل يحضرك شىء فى هذه». فأنشد ارتجالاً.

كأن الشموع وقد أظهرت من النار فى كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائف ين تضرع[7] تطلب منك الأمانا

(١) من بحر الكامل.
(٢) فى المخطوطة (ذريعة) وهى تكسر البيت.
(٣) تضوَّع: انتشر وفاح.
(٤) النشر: الرائحة الطيبة.
(٥) هو عمر بن يعقوب الأنبارى، أبو الحسين: الأديب الشاعر المطبوع.
(٦) أياد سلفت: معروف فارط متقدم.
(٧) تضرع: أصلها تتضرع، وحذفت إحدى التاءين للتخفيف.

فخلع عليه، وأعطاه فرسًا وبدرة.

وقال مجير الدين محمد بن على بن يعقوب بن تميم. وقد اجتاز ليلة بدار بعض أصحابه. ومعه شمعت طفيت. فأوقدها من داره:

يا أيها المولى الشريف ومن له

فضـل يفـوق بـه علـى أهـل الأدب

لما أزرتـك شمـعتى لتبرهـا

جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافتـه حاسـرة فقبل رأسهـا

وأعـادهـا نحـوى بتـاج من ذهـب

وينسب لأمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف الثانى والثلاثين من خلفاء بنى العباس. أنه قال فى الشمعة:

وصفراء مثلى فى القياس ودمعها

سجام على الخـدين مثـل دمـوعى[1]

تذوب كمـا ذيـت وَجْـدًا ولوعـة

ويحوى حشاها ما حوته ضلوعى[2]

وللمستنجد أيضًا:

وباخـلٍ أشعـل فـى بـيته ... فـى مـرة منـــه لـــنا شمـــعة

فما جرت من عينها دمعة ... حتى جـرت من عينه دمعه[3]

وقال الأديب الكاتب الناسك فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى اليمن بن عز القضاة يصف شموعًا:

(١) سجام: واكفة متحدرة غزيرة.

(٢) أى تحوى مثل ما انطوت عليه ضلوعى وهذه الأبيات من بحر الطويل.

(٣) وهذا دلالة على شدة الحرص.

وزُهْـرِ شُمُـوعٍ إن مـددت بنـانهـا

لمحو. سطور الليل ناب عن البدر[1]

وفيـهـن كـافـوريـة خلـت أنهـا

عمـود صـباح فوقـه كوكـب الفجـر

وصفراءَ تحكى شاحبًا شـاب رأسـه

فأدمعه تجرى علـى ضيـعة العمـر[2]

وخضراء يبـدو وقـدها فـوق قدهـا

كنرجسة تزهو على الغصـن النـضر

ولا غرو أن يحكى الأزاهر حسنها

أليس جناها النحل قِدْمًا من الزهـر

وقال الشريف الأديب الشاعر أبو الحسن على بن محمد بن الرضى[3] بن محمد بن حمزة بن أميرك. المعروف بابن دفتر خوان الطوسى:

وعجـيبة تحكـى بقـدٍ نـخلة ذهبية لهـبية تشكـو الصـدى[4]

ومقطها منـها يصيد حمامة بيضا، ويلقيها غرابا أسودا[5]

وقال العلامة: أبو الفضل أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشى[6]:

غصن بدا من فضة أمسى بتبر مسمرًا

يجنى المقط وردة منه ويلقى عنبرًا

---

(١) ناب عن البدر: حل محله وسد مسده.
والأبيات من بحر الطويل.

(٢) شاحبًا: ممتقع الوجه.

(٣) وهو الشريف الرضى الشاعر المتقن المطبوع المعروف.

(٤) الصدى: الظمأ والعطش.

(٥) الغراب لا يكون إلا أسود، ولكنه قال هذا لضرورة الشعر.

(٦) هو أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشى، أبو الفضل العلامة الأديب الشاعر.
والبيتان من مجزوء الكامل.

وقال الأمير سيف الدين أبو الحسن على بن عمر بن قزل المعروف:

ولـم أر مثل شمعتنا عروسًا
تجلت فى الدجى ما بين جمع[١]
نصبناها لخفض العيش جزمًا
فـآذن ليـلنـــا منــها بـرفــع[٢]
كـأن عقـود أدمعـها عليـها
سـلاسـل فضـة أو قضـب طلـع

وقال الأديب العارف شهاب الدين أبو الفضل[٣] محمد بن عبد المنعم بن محمد. المعروف بابن الخيمى الأنصارى. فاحسن ما شاء:

وشمعةٍ مزقت ثوب الظلام بما
بثت من النور فى الأرجاء متسعا[٤]
وأحرقت نارها ما مزقت فرمت
بالقسط تخرجه من ظهرها قطعا[٥]

وقال مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على الأعمى[٦]:

جاءت بجسم لسانه ذهب　　تبكى وتشكو الهوى وتلتهب
كأنهـا فـى يمـين حـاملهـا　　رمـح لجـين لسانـه ذهـب[٧]

---

(١) الدجى: الظلام.
والأبيات من بحر الوافر.
(٢) أى آذن ليلها بالزوال.
(٣) هو أبو الفضل محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى.
(٤) بثت: نشرت.
(٥) القسط: العود الهندى.
والبيتان من بحر البسيط.
(٦) هو مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على الأعمى.
(٧) اللجين: الفضة.
والبيتان من بحر البسيط.

وقال عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حمديس أبو محمد الأزدى الصقلى:

قناة مـن الشمـع مـركـوزة   لها حَرْبـة طبعـت من ذهـب[1]
تُحـرِّق بالنـار أحشـاؤها   فتـدمـع مـقلتهـا بـالـلهـب
تَمَشَّى لنا نورها فى الدجى   كما يتمشـى الرضى فى الغضب
فاعـجب لأكـلة جسمـها   بروح تشـاركها فـى العـطب[2]

وقال:

مصفرةُ الجسم وهـى ناحلة   تستعذب العيش مع تعذبها[3]
تطعن صدر الدجى بعالية   صَنَـوبَـرِىٌّ لسـانُ كـوكبـهـا
إن تلفت روح هذه اقتبست   مـن هـذه فضـلـة تعيـش بهـا
كحـيـة بـاللسـان لاحسـةٍ   ما أدركت مـن سـواد غيهبـها

وقال السرى بن أحمد الرفاء الكندى الموصلى[4]:

أعددت لليل إذا الليل غسق
وقيد الألحاظ من دون الطرق
قضبان تبر عُرِّيت من الورق
شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

---

(١) طُبِعَت: صُقِلَتْ.

(٢) العطب: التلف.

والأبيات من بحر المتقارب.

(٣) ناحلة: مهزولة

(٤) هو السرى بن أحمد الرفاء الكندى الموصلى.

وقال من أبيات:

ولما دجى الليل فرجته ... بروح تَحَيَّف جثمانها
بشمع أعير قدود الرماح ... وسرج ذراها وألونها
غصون من التبر قد أزهرت ... لهيبا يزين أفنانها[1]
فياحسن أرواحها فى الدجى ... وقد أكلت فيه أبدانها

وقال القاضى ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرجانى[2] من قصيدة:

نمت بأسرار ليل كاد يخفيها ... وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن ... ولا ترى فيه نارًا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها ... فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها[3]
غريقة فى دموع وهى تحرقها ... أنفاسها بدوام من تلظيها[4]
تنفست نفس المهجور إذ ذكرت ... عهد الخليط فبات الوجد يبكيها[5]
يخشى عليها الرَّدَى مما ألم بها ... نسيم ريح إذا وافى يحييها[6]
بدت كنجم هوى فى اثر عفريت ... فى الأرض فاشتغلت من نواصيها
نجم رأى الأرض أولى أن ينورها ... من السماء فأضحى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال شادخها ... فى وجه دهماء يُزْهاها تجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة ... فكلما حجبت قامت تحاكيها[7]

---

(١) التبر: الذهب، والأفنان: الغصون، جمع مفرده فنن.
والأبيات من بحر المتقارب.
(٢) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد الأرجانى.
(٣) الهادى: العنق.
(٤) التلظى: الاحتراق.
(٥) الخليط: المخالط المخامر.
(٦) الردى: الهلاك. ألم بها: نزل بها والأبيات من بحر البسيط.
(٧) تحاكيها: تقلدها تمثيلاً.

ما طنبت قط فى أرض مخيمة ... إلا وأقمر للأبصار داجيها[1]
فالوجنة الورد إلا فى تناولها ... والقامة الغصن إلا فى تثنيها
وقد أثمرت وردة حمراء طالعة ... تجنى على الكف إن أهويت تجنيها
ورد تشاك به الأيدى إذا قطفت ... وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها، حمر عمائمها ... سود ذوائبها بيض لياليها[2]
وصيفة لست منها قاضيًا وطرًا ... إن أنت لم تكسها تاجًا يحليها[3]
صفراء هندية فى اللون إن نعتت ... والقد واللين إن أتممت تشبيها
فالهند تقتل بالنيران أنفسها ... وعندها أنها إذ ذاك تحييها
قدت على قد ثوب قد تبطنها ... ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
أبدت إلىَّ ابتسامًا فى خلال بكا ... وعبرتى أنا عض الحزن يُمريها
فقلت فى جنح ليل وهى واقفة ... ونحن فى حضرة جلت أياديها
لو أنها علمت فى قرْب مَنْ نصبت ... من الورى لثنت أعطافها تيها[4]

وقال المرتضى أبو محمد عبد الله بن القاسم بن مظفر بن على الشهرزورى[5]:

ناديتها ودموعها ... تحكى سوابق عبرتى[6]
والنار من زفراتها ... تحكى تلهب زفرتى
ماذا التجنب والبكا ... ء فأعربت عن قصتى[7]
قالت فجعت بمن هوير ... ت فمحنتى من محنتى

---

(١) داجيها: مظلمها، والدياجى هى الظلمات.
(٢) الغلائل: جمع غِلالة، وهى شعار يُلْبَسُ تحت الثوب، وتحت الدرع أيضًا.
(٣) قضاء الوطر: تحقيق المطلوب.
(٤) الورى: الخلق. والتيه: الكبر.
والأبيات من بحر البسيط.
(٥) هو المرتضى أبو محمد عبد الله بن القاسم بن مظفر بن على الشهرزورى.
(٦) عبرتى: دمعتى.
(٧) أعربت عن قصتى: شرحتها وأفصحت عنها.

وقال أيضًا:

إذا صال البلى وسطا عليها ... تلقته بذل فى التوانى[1]

إذا خضعت تُقطُّ بحسن مس ... فتحى فى المقام بلا توانى

كأنى مثلها فى كل حال ... أموت بكم وتحيينى الأمانى

وقال الفتح بن خاقان فى كتاب (قلائد العقيان): «ركب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون. وأبو الحسن غلام البكرى. نهر إشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سوادًا من طرف الظبى النافر. ومعهما وَضِيءٌ قد اطلع وجه البدر ليلة تمامه. على غضن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد آزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء.

فقال عبد الجليل ارتجالاً:

كأنمـا الشمـعـتان إذ سـمتـا ... جيد غـلام محسّن الغيــد

وفى حشا النهر من شعاعهما ... طريق نار الهوى إلى كبدى

وقال غلام البكرى:

أحبب بمنظر ليلة ليلاء ... تجنى بها اللذات فوق الماء[2]

فى زورق يزهو بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الغيناء[3]

قرنت يداه الشمعتين بوجهه ... كالبدر بين النسر والجوزاء

والتاح فوق الماء ضوء منهما ... كالبرق يخفق فى غمام سماء

---

(١) التوانى: التقاعس.
والأبيات من بحر الوافر.

(٢) ليلة ليلاء: شديدة الظلمة.

(٣) أغيد: من الغيداء وهى المرأة الناعمة الملساء التى تتثنى لينا.
وقال علماء اللغة: الأغيد: الوسنان المائل العنق.
والأبيات من بحر الكامل.

وكتب بعض الأدباء إلى الأفضل شاهناه بن أمير الجيوش بدر الجمالى. وقد أسرج الشموع على حافات النيل:

أبدعت للناس منظرًا عجبا — لا زلت تحى السرور والطربا
ألفت بين ضدين مقتدرًا — فمن رأى الماء خالط اللهبا[1]
كأنما الليل والشموع به — أفق سماء تألفت شهبا[2]
قد كان من فضة فصيره — توقد النار فوقه ذهبا

وقال أبو الحسن على بن أبى البشر:

شربنا من غروب الشمس شمسًا
مشعشعة إلى وقت الطلوع
وضوء الشمس فوق النيل بادٍ
كأطراف الأسنة فى الدروع

وقال الغزى:

كالشمع يبكى ولا يُدرى أعبرته
من صحبة النار أو من فرقة العسل[3]

وقال آخر:

رقصت من الشمع مصفرة — وراح تدار كلون العقيق[4]
فعشق الفراش لناريهما — فإما حريق وإما غريق

---

(١) خالط اللهب: خامرة وداخله.
(٢) الشهب: النجوم، جمع شهاب.
(٣) عبرته: دمعته. والجمع عبرات.
والبيت من بحر البسيط.
(٤) الراح: الخمر. والعقيق: ضرب من الفصوص.

ولأبى الحسن على المعروف بدوخلة الكاتب:

لقد أشبهتنى شمعة فى صبابتى وفى هول ما ألقى وما أتوقع[1]

نحول وحرق فى فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وأدمع[2]

تمت بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وافق الفراغ من تنجيزها على يد كاتبها الفقير إبراهيم محمد يوسف السنجرجى بلدًا، المالكى مذهبًا. يوم السبت عاشر شوال سنة ١٢٢٩ من الهجرة النبوية. على صاحبها أفضل الصلاة والسلام آمين.

---

(١) شمعة فى الصبابة: كناية عن التألق والتوهج والنشاط.

(٢) التسهيد: الأرق والسهر.

والبيتان من بحر الطويل.

فهرست الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

رقم الإيداع ١٣٠٠٨/٩٧
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977-294-037-X

طـــبع آمـــون
٤ عطفة فيروز - متفرع من ش إسماعيل أباظة - لاظوغلى
تليفون: ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦